التراجيديا الإنسانية في روايتي "قصة عن الحب والظلام" لعاموس عوز و"بينما ينام العالم" لسوزان أبو الهوى

(دراسة مقارنة)

إعداد الباحثة

وداد عبد الفتاح خليفة

المدرس بقسم اللغة العبرية وآدابها

كلية الدراسات الإنسانية – جامعة الأزهر

إشكالية التراجيديا الإنسانية في روايتي " قصة عن الحب والظلام " لعاموس عوز و"بينما ينام العالم" لسوزان أبو الهوى (دراسة مقارنة)

وداد عبد الفتاح علي خليفة

قسم اللغة العبرية وآدابها، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر

البريد الإلكتروني: hdr.wedadkhalifa.56@azhar.edu.eg

الملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على إشكالية التراجيديا الإنسانية (المأساة) الناتجة عن الصراع العربي الإسرائيلي من خلال دراسة مقارنة بين روايتي " قصة عن الحب والظلام " لعاموس عوز الإسرائيلي و" بينما ينام العالم" لسوزان أبو الهوى الفلسطينية، وذلك لتوضيح دور التراجيديا في النصين الأدبيين موضوع الدراسة ومدى تحقيق كل من الروايتين لشروط الروايةِ الإنسانية، والاطلاع على الواقع المعاش للمجتمعين العربي والإسرائيلي من خلال تصوير الأديبين لذلك الواقع. وهل قدم الأديبان حلا للصراع بينهما اشتمل على أبعاد إنسانية. ثم تتبع القضايا السياسية في الروايتين؟ وهل ارتبطت تلك القضايا بتجربة الأديبين الشخصية، ومعرفة أي الروايتين تستند إلى المنطق ولها جوهرٌ إنسانيٌ يَنْفُذُ إلى ضمير العالم. وبناءً على ذلك فقد قامت الدراسة على العناصر التالية: – تعريف التراجيديا في الأدبين العربي والعبري. – التراجيديا الإنسانية في روايتي "قصة عن الحب والظلام " ورواية "بينما ينام العالم " –دراسة مقارنة لإشكالية التراجيديا الإنسانية في الروايتين، وكيفية عرض كل من الأديبين لوجهة نظره. وقد توصلت الدراسة إلى **عدد من النتائج أهمها:** – أن ما قدمه عوز لا يعبر عن التراجيديا الإنسانية

بمفهومها الصحيح، وإنما عبر عن مأساة شعبه. وبذلك لم تحقق روايته شروط الرواية الإنسانية؛ لأنها لم تخترق الغلاف القومي الضيق. وما قدمته سوزان أبو الهوى من خلال روايتها، هي تراجيديا إنسانية حقيقية بمفهومها الصحيح نفذت إلى أعماق الوجدان البشري وأحرزت الصدق الفني الذي هو أهم شروط الرواية الإنسانية.

كلمات مفتاحية: التراجيديا – الإنسانية – الصهيونية – الأوتوبيوجرافيا – الصراع – دراسة مقارنة

The Human Tragedy As Reflected by the Novel "A Tale of Love and Darkness" Written by Amos Oz and the Novel "While the World Sleeps" Written by Susan Abulhawa (A Comparative Study)

Wedad Abdul Fattah Ali Khalifa

Department of Hebrew Language and Literature, Faculty of Human Studies, Al - Azhar University, Cairo, Egypt

dr.wedadkhalifa.56@azhar.edu.eg

Abstract:

This study focuses on the problem of human tragedy (tragedy), caused by the Arab Israeli Conflict, by conducting a comparative study of two novels; "A Tale of Love and Darkness" by the Israeli writer Amos Oz and "While the World Sleeps" by the Palestinian writer Susan Abulhawa. The study sheds light on the role of tragedy in the literary texts of the two novels, subject of this study, and decides whether each of the two novels fulfills the conditions of the human novel. In addition, the study reflects the real living of the Arab and Israeli societies as illustrated by the two novelists. The two novelists presented a solution for this conflict, a solution based on human dimensions. The study then reviews the political issues in the two novels, and verifies whether these issues are related to the personal experiences of the two novelists. Finally, the study decides which of the two novels is based on the logic and has a human essence that can find its way to the world conscience. The study depends on the following: -Defining tragedy in the Hebrew and Arab Literatures.-Studying the human tragedy in the two novels mentioned above Conducting a comparative study on the problem of human tragedy in the

two novels, and explaining how the two novelists presented their views .

Results of Study - Conflict. Oz's view doesn't reflect the true concept of human tragedy, as he reflects only the tragedy of his own people. So, his novel doesn't fulfill the conditions of human novel because it doesn't go beyond the narrow national borderlines. However, Susan Abulhawa manages to present a true human tragedy that can get into the depths of human conscience and achieve the artistic truth which is the most important condition of human novel.

Keywords: Tragedy, Humanity, Zionism, Autobiography, Comparative Study

التراجيديا الإنسانية في روايتي"סיפור על אהבה וחושך " قصة عن الحب والظلام" لعاموس عوز [١]

و" بينما ينام العالم " لسوزان أبو الهوى [٢] (دراسة مقارنة)

[١] עמוס עוז عاموس عوز: كاتب إسرائيلي، يعمل أستاذًا للأدب في جامعة بن جوريون في بئر سبع منذ عام ١٩٦٧م. ولد في القدس عام ١٩٣٩م، هاجرت أسرته من بولندا إلى فلسطين في بداية عام ١٩٣٢م. واستقرت في القدس. تلقى عاموس في بداية حياته تعليماً دينياً حيث أرسله والده إلى مدرسة " تحكموني" وهي مدرسة عبرية ذات طابع ديني متشدد. اكتسب عوز شهرة أدبية داخل إسرائيل وخارجها من خلال أعماله الأدبية التي تناول فيها العديد من القضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية مثل: التاريخ اليهودي، معاداة السامية أحداث النازي، الصهيونية، الكيبوتس، صورة العربي، الواقع العربي الإسرائيلي وذلك من خلال محورين أساسيين هما: الصراع الإسرائيلي – والصراع العربي الإسرائيلي. تبنى فكرة إقامة دولتين على أرض فلسطين من أجل حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ومن دعاة السلام ولكن من وجهة نظر صهيونية. يحتل عوز مكانة أدبية مميزة كأحد الأدباء البارزين على ساحة الأدب العبري المعاصر، انظر/ עמוס עוז : באור התכלית העזה, ספרית פועלים , הדפסה שישית, תל-אביב, 1985,עמ' 206-207 للمزيد انظر / نهلة صلاح منصور أحمد راحيل: السيرة الذاتية عند عاموس عوز – دراسة في رواية (قصة عن الحب والظلام)": ، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.ص ٦٧– ٧٨

[٢] ولدت سوزان أبو الهوى لأسرة فلسطينية من لاجئي حرب ١٩٦٧م عندما استولت إسرائيل على أراضي أسرتها ضمن ما ابتلعت من أراضي فلسطين، أو ما تبقى من فلسطين بما فيها القدس، انتقلت سوزان للعيش في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت آنذاك في سن المراهقة، وهناك حصلت على شهادة في علم الطب الحيوي، ثم بدأت حياتها المهنية في مجال العلوم الطبية، أسست " ملاعب لفلسطين" (وهي مؤسسة للأطفال تعمل لدعم حق الأطفال الفلسطينيين في اللعب، ورواية "بينما ينام العالم ، هي ==

المقدمة:

خلقت الحروب التي مر بها الصراع العربي الإسرائيلي مآسٍ عديدة تركت آثارًا نفسية سيئة على أطراف الصراع كل من وجهة نظره، وقد انعكست تلك المآسي على الأدب العبري والأدب العربي على السواء باعتبار الأدب المرآة التي تعكس حال المجتمعات؛ إلا أنه ما يهمنا في هذه الدراسة كيفية تناول الرواية بصفة خاصة للمأساة الإنسانية، لا سيما منذ فترة ما قبل قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وما تلاها من أحداث دامية..

عبَّر العديد من الأدباء العرب والإسرائيليين كل حسب وجهة نظره عن معاناة شعبه من آثار نفسية واجتماعية واقتصادية، وهو ما سوف تركز عليه الدراسة لإيضاح المقصود بالتراجيديا الإنسانية من وجهتي نظر متناقضتين:

- الأولى عربية تمثل أصحاب الأرض الفلسطينيين، ومدى تمسكهم بالأرض، وجذورهم التاريخية، وبحقهم في الحياة الكريمة والاستقرار والشعور بالأمان.

- الثانية إسرائيلية ومدى تمسكها بذات الحقوق وفق مزاعم صهيونية أكد التاريخ زيفها.

بناءً على ذلك سوف تكون الدراسة على النحو التالي:

- تعريف التراجيديا في الأدبين العربي والعبري.

==

روايتها الأولى ، وتم نشرها في تسعة عشر بلدًا. انظر /سوزان أبو الهوى: "بينما ينام العالم"، ترجمة سامية شينان، قطر- الدوحة، الطبعة العربية الأولى، ٢٠١٢م، ص ٤٧٩، https://ara.reuters.com/article/idARACAE82P04020120326
-https://www.booksjuice.com/authors

- التراجيديا الإنسانية في روايتي "סיפור על אהבה וחושך "[١] "قصة عن الحب والظلام " للأديب الإسرائيلي عاموس عوز، نُشرت عام ٢٠٠٢م ، وتُرجمت إلى العربية ونُشرت سنة ٢٠١٠م وهي رواية أقرب إلى السيرة الذاتية (الأوتوبيوجرافيا)، والرواية التي بدأت كتابتها سوزان أبو الهوى عام ٢٠٠٢ تحت عنوان "ندبة داوود" ، ثم نُشرت باللغة إنجليزية تحت عنوان "صباحات جنين" Mornings Jenin " عام ٢٠١٠م ، والتي قامت بترجمتها إلى العربية: سامية شنان تميمي تحت عنوان "بينما ينام العالم "[٢] وصدرت عام ٢٠١٢م، وهي النسخة التي اعتمدت عليها الدراسة.

- دراسة مقارنة لإشكالية التراجيديا الإنسانية في الروايتين، وكيفية عرض كل من الأديبين لوجهة نظره.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

– تأثير التراجيديا الإنسانية في النص الأدبي العبري والنص العربي على المتلقي.

– توعية وتنوير القارئ العربي بضرورة الحذر مما تحتويه الأعمال الأدبية الإسرائيلية من أفكار ومفاهيم.

أسئلة البحث:

١- ما هو دور التراجيديا في النص الأدبي للروايتين؟

٢- هل حققت الروايتان شروط الروايةِ الإنسانية؟

---

[١] עמוס עוז : ספור על אהבה ו חושך, כתר הוצאה לאור، כתר הצאה לאור،ירושלים، 2002

[٢] سوزان أبو الهوى: "بينما ينام العالم"، مرجع سابق، ٤٧٣.

٣- هل اكتفى الأديبان بتصوير الواقع المعاش أم قدما حلا اشتمل على أبعاد إنسانية؟

٤- هل أبقت الروايتان على العنصر السياسي فحسب؟

٥- أي الروايتين تستند إلى المنطق ولها جوهرٌ إنسانيٌ يَنْفُذُ إلى ضمير العالم؟

أهداف البحث:

-عرض واقع المجتمعين من خلال رؤية الأديبين للأحداث في ظل البعد الإنساني الذي قدمته الروايتان.

- التعرف على مدى نجاح الأديبين في التعبير عن المأساة التي أصابت مجتمعهما وأثرها على المتلقي. - مناقشة إشكالية التراجيديا بين الأدبين العبري والعربي من خلال الروايتين موضوع الدراسة.

منهج البحث:

يعتمدُ البحثُ على المنهج الوصفي التحليلي[١]

[١] **المنهج الوصفي التحليلي:** يعد المنهج الوصفي التحليلي أحد أهم مناهج البحث العلمي، ويعود السبب الرئيس وراء استخدام هذا المنهج؛ شموليته الكبيرة. ومن خلال المنهج الوصفي التحليلي يستطيع الباحث دراسة الواقع بشكل دقيق، حيث يتعرف الباحث على الأسباب التي أدت إلى حدوث الظاهرة ويسهم في اكتشاف الحلول لها، ، وبعد أن ينتهي من دراسة هذه الظاهرة يقوم بعقد المقارنات بينها وبين الظواهر الأخرى ومن ثم يحللها. https://wefaak.com/تعريف-المنهج-الوصفي-

وعلى المنهج المقارن[١]؛ لتتمكن الباحثةُ من تحليل ومقارنةِ الروايتين، بالتركيز على ما يتعلق منهما بالتراجيديا الإنسانية، وما تتضمنه هذه التراجيديا من أبعادٍ إنسانيةٍ انعكست على المجتمعين (الفلسطيني والإسرائيلي).

من الدراسات السابقة:

صدر عددٌ من الدراسات والمقالات التي تناولت بعض أعمال الأديبين بالنقد والتحليل. منها على سبيل المثال لا الحصر:

- "الأنا والآخر في أعمال عاموس عوز – دراسة تحليلية مقارنة بين كتاباته السياسية وبعض أعماله الأدبية ": عمر عبد العلي علام رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس ،١٩٩٩م
- "القصة القصيرة في أدب عاموس عوز": جمال عبد السميع مصطفى الشاذلي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- " الرواية في أدب عاموس عوز ": فؤاد محمد عبد الواحد، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، ١٩٩٣م.
- " السيرة الذاتية عند عاموس عوز – دراسة في رواية (قصة عن الحب والظلام)": نهلة صلاح منصور أحمد راحيل، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

---

[١] **المنهج المقارن:** هو ذلك المنهج الذي يعتمد على المقارنة في دراسة الظاهرة حيث يبرز أوجه الشبه والاختلاف فيما بين ظاهرتين أو أكثر، ويعتمد الباحث من خلال ذلك على مجموعة من الخطوات من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية المتعلقة بالظاهرة المدروسة. http://master-theses.com/%D8%A7%D9

- "روائية تسجل شتات أجيال فلسطينية "بينما ينام العالم"، رويترز، القاهرة، ٢٦ / مارس/ ٢٠١٢م
- " قراءة في رواية (بينما ينام العالم.. للكاتبة سوزان أبو الهوى): أحمد العربي، ١٦ / يناير /٢٠١٤م
- "لغة تنهل من المأساة شعريتها": د/ عارف الكنعاني، الاتحاد، الملحق الثقافي،١٥ / ديسمبر ٢٠١٢م

وقد تخصصت تلك الأبحاث والمقالات في الدراسات التحليلية والنقدية، لكن أحداً منها لم تتعرض إلى التراجيديا الإنسانية في العملين موضوع الدراسة؛ لذا رأت الباحثة مناقشة هذه الإشكالية؛ للوقوف على أهم نقاط التشابه والاختلاف بين رؤية الأديبين تجاه قضية الصراع العربي الإسرائيلي وأثرها على أبطال الروايتين كنماذج بشرية للمجتمعين، ومعالجة هذه الإشكالية.

مفهوم التراجيديا في الأدبين العبري والعربي:

اتفق الباحثون العرب والإسرائيليون على المعنى اللغوي للتراجيديا: فقد جاءت كلمة التراجيديا في المعاجم العربية بمعنى (مأساة).[١]

أما المعاجم العبرية (טראגדיה) بمعنى מאורע עצוב (أحداث محزنة) ، אסון (كارثة) מעשה המעורר יגון(الفعل الذي يثير الحزن) .[٢]

[١] – معجم المعاني الجامع: معجم عربي عربي ، https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

[٢] המלון החדש : אברהם אבן-שושן,כרך שני : ה-ט,הוצאת"קרית-ספר" בע"מ, ירושלים, עמ' 913

التراجيديا: هي: شكل من العمل الفني الدرامي يهدف إلى تصوير مأساة قد تكون مبنية على قصة تاريخية. أصل الكلمة هو من اليونانية الكلاسيكية (τραγῳδία)وتعني حرفياً "أغنية الماعز"، نسبة إلى طقوس مسرحية ودينية كان يتم فيها غناء الكورس مع التضحية بالماعز في اليونان القديمة. التراجيديا عموماً تتعلق باستعراض أحداث من الحزن ونتيجة مؤسفة في النهاية.[١] وتتعامل المأساة مع غرائز إنسانية لا يمكن السيطرة عليها مثل: الفخر والعاطفة والكراهية. مؤامرة المأساة دائما محفوفة بالأزمات، صعود وهبوط البطل ضد القدر. وتنتهي المأساة بكارثة يمكن التنبؤ بها.[٢]

إذاً التراجيديا بشكلٍ عام مفهومٌ يدلُّ على المأساة، تناوله الأدباء في كتاباتهم بمفهوم – التراجيديا الإنسانية – لذا؛ يجب توضيح الشروط التي يجب توافرها في الرواية الإنسانية حتى تكون معبرة بصدق عن وجهة نظر كاتبها.

شروط الرواية الإنسانية:

يجب أن تخترق الرواية الإنسانية الغلاف القومي الضيق، لتنفذ إلى أعماق الوجدان البشري العام، وإحراز الصدق الفني الذي يُعد من أهم شروط العمل الأدبي، كما يجب ألا تتوقف الرواية عند العنصر السياسي

---

[١] للمزيد أنظر /د/ نبيل راغب : دليل الناقد الأدبي ، مكتبة غريب ،د.ت، القاهرة ، ص٤٧ – ٥٤، مولين ميرشنت: الكوميديا والتراجيديا ، ترجمة : د/ علي أحمد محمود وآخرون، مجلة عالم المعرفة ، العدد ١٨ ،سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب – الكويت، ١٩٧٩م ، من ص ١١٧– ١٥٦.

[٢] ציונית, דינה : מטח : המרכז לטכנולוגיה חינוכית. 2003 .
https://lib.cet.ac.il/pages/item.asp?item=7471

فحسب، وإنما يتعين الإحاطة الشاملة بأبعاد التجربة كافة وتشابكها المعقد. وكذلك ينبغي أن يبرز في معاناة التجربة ووعي عميق بجوهرها الإنساني العام، الذي ينفذ إلى ضمير العالم كله. فتكون الرواية قد أخلصت للدلالة الكلية في مأساة ما [١]. وقد اختارت الباحثة الروايتين السابق الإشارة إليهما لتتمكن من التعرف على مدى تحقيق تلك الشروط الإنسانية فيهما.

مضمون رواية "סיפור על אהבה וחושך " قصة عن الحب والظلام":

يروي عاموس عوز في روايته" قصة عن الحب والظلام" سيرة عائلة يهودية منذ فترة الانتداب البريطاني على فلسطين والإعلان عن إقامة دولة إسرائيل، ولا تخلو الرواية من قصة حب غامضة يعرض من خلالها الكاتب المعاناة والبؤس اللذان لحقا بالعائلة، وكيف انتهى بها المصير. ومن خلال وصف مفصل لشخصيات الرواية وآمالها وطموحاتها يجمع بين الواقع السياسي والواقع الاجتماعي، ويعرض واقع الحال الذي ساد المنطقة خلال فترة تاريخية انتقالية مليئة بالأحداث والتقلبات من خلال تفاعل شخصيات الرواية مع هذا الواقع وانعكاساته على العائلة اليهودية وأنماط تفكيرها وفهمها لذلك الواقع.

اعتمد الأديب في روايته" قصة عن الحب والظلام" الأسلوب السردي، يحكي فيها جانب من سيرة طفولته، وسيرة ذاتية عائلية، محاولا تجسيد معاناة الإنسان اليهودي وكفاحه من أجل تحقيق ذاته في ظل ظروف قاسية.[٢]

---

[١] صبحي نبهاني: البعد الإنساني في رواية النكبة، نقد، في الأدب الفلسطيني، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٩٠م، ص٢٤- ٢٥

[٢] פורטל הכרמל : סיפור על אהבה וחושך , 4 / 10 / 2010
http://www.karmel.co.il/أدب-وفن/-قصة-عن-الحب-والظلام

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل كان كفاح اليهود الصهاينة لإنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين كفاحًا مشروعاً؟ وهل يُقبل إنسانياً الاعتداء على شعب واحتلال أرضه بالقوة ليعيش مكانه بدعوى الحق التاريخي فيها؟ وبدعوى حل المشكلة اليهودية؟ هذا ما سوف يتم الإجابة عليه في ثنايا الدراسة.

تُعد رواية "قصة عن الحب والظلام" نافذة يطل منها القارئ على ثقافة العائلية اليهودية وعلى أنماط التفكير التي استحوذت على الشخصيات التي عاشت تلك الحقبة الزمنية.

يرى النقاد أن رواية " قصة عن الحب والظلام " هي سيرة ذاتية عن حياة كاتبها عاموس عوز، وأنها كُتبت ليوثق بها تاريخ حياته من خلال الأحداث التاريخية التي مرَّ بها.[١]ويرى آخرون أنها ليست سيرة ذاتية إلا بمقدار الحاجة لبناء الأفكار والأسئلة.[٢] وقد قسمها يوسف أورن إلى خمسة أجزاء :

الجزء الأول: الصفحات من (٥ إلى ١٤٤) يتتبع فيها الكاتب أصول عائلة الأب "كلوزنر"، وأيضا عائلة الأم " موسمان" سارداً الأحداث التي وقعت لجيل الأجداد من العائلتين قبل وصولهم إلى فلسطين، وخلال سنوات إقامتهم

[١] – מיטל שרון : שיח יתומים , סופרים וספרות ישראלם כותבים על אמותיהם המתות, אוניברסיטת תל- אביב, עמ׳55.,חמותל בר יוסף : סיפור על אהבה וחושך, עמוס עוז, הוצאת כתר 2002, מאמר מאתר.
www.jafi.org.il/education/zo-shlichut/Book-htm

[٢] إبراهيم غرايبة: "قصة عن الحب والظلام " ..رحلة إسرائيلي من بولندا إلى القدس‘١٣/ يناير/ ٢٠١٤م
http://thaqafat.com/2014/01/22335

بفلسطين. كما يتضمن هذا الجزء وصفًا مفصلًا للبروفيسور يوسف كلوزنر [١] الذي يُعد أشهر شخصية في عائلة الأب والد عاموس.

الجزء الثاني: الصفحات من (١٤٥ إلى ٢٣٥) يتناول الكاتب سيرة حياة الوالدين "آريا كلو زنر" و"بنيا موسمان" كما تناول البيئة التي عاشا بها طفولتهما وشبابهما، وحياتهما في فلسطين، وقصة زواجهما.

الجزء الثالث: الصفحات من (٢٦٣ إلى ٣٥٥) كتب عاموس عوز عن طفولته، وعلاقة الصداقة التي ربطت بينه وبين مدرسته "زلدا "[٢]

---

[١] - يوسف كلاوزنر: باحث أدبي، مؤرخ، ناقد ومحرر .من مواليد أغسطس، ١٨٧٤، في بلدة أولكنيكي في فيلنا، وفي عام ١٨٨٥، انتقل مع عائلته إلى أوديسا. نشر مقالاته الأولى (في عام ١٨٩٣)، درس في جامعة هايدلبرغ، ظهر كناقد بارز في الأدب العبري الحديث .في بداية عام ١٩٠٣، نشر سلسلة من الكتب والأبحاث في التاريخ الروسي والتاريخ اليهودي في روسيا .في عام ١٩١٩ غادر أوديسا وهاجر إلى فلسطين .من عام ١٩٢٥ إلى عام ١٩٥٠، عمل في الجامعة العبرية في القدس أولاً كأستاذ للأدب العبري الجديد. شغل كلاوزنر منصب رئيس تحرير الموسوعة العبرية .توفي في تل أبيب في ٢٨ أكتوبر ١٩٥٨، ودُفن في القدسלקסיקון הספרות העברית החדשה. https://library.osu.edu/projects/hebrew lexicon/01201.php

[٢] – "زلدا" شاعرة إسرائيلية، اسمها الأصلي: زلدا شنيئرسون . ميشكوفسكي. ولدت في العام ١٩١٤ في اوكرانيا لعائلة متدينة. هاجرت إلى فلسطين في العام ١٩٢٥ مع عائلتها، صدر ديوان شعرها الأول بعنوان "ترفيه" في العام ١٩٦٧ وكان لها من العمر ثلاثة وخمسون عاما، ونال شهرة وانتشارا واسعين. ثم نشرت عدة دواوين شعرية، منها:" الكرمل الجزيرة المرئية"(١٩٧١)، "لا تبتعد"(١٩٧٥)، "الاختلاف الرائع"(١٩٨١). واستطاعت زلدا في دواوينها أعلاه أن تنقل صورة عن حياتها الدينية الشخصية. أنظر/ ==

الجزء الرابع: الصفحات من (٣٥٦ إلى ٤٤٢): يتناول الأحداث التي وقعت في القدس في نهاية الانتداب البريطاني، وترقب نتائج قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة بشأن إقامة الدولة، والمخاوف التي يمكن أن تحدث في القدس واليشوف[١]جراء تصديق الجمعية على إقامة الدولة.

الجزء الخامس: الصفحات من (٤٤٣ إلى ٥٩٣): تحدث فيه عوز عن بعض القضايا الاجتماعية منها: الألم النفسي الذي تعرضت له الأم بسبب زواجها من والده، وعن الفجوة التي حدثت بين الكاتب وأبيه في تلك الفترة وما بعدها، كما وصف الكاتب الأيام الأخيرة للأم قبل انتحارها، وكيف قرر التحول إلى الكيبوتس، حيث اتخذ لنفسه لقباً آخر غير لقب العائلة وهو "عوز" ليؤكد الانفصال فكريا عن اتجاه الآباء، وبلْورة نظرته تجاه الصراع مع العرب وبداياته الأولى مع الكتابة الأدبية.[٢]

==

موســـوعة المصـــطلحات مـــدار

https://www.madarcenter.org/

[١] "ישוב" اليشوف: كلمة عبرية معناها الاستيطان. وتطلق في الكتابات الصهيونية على التجمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين قبل قيام الكيان الصهيوني. ينقسم إلى مرحلتين: ١- مرحلة ما قبل عام ١٨٨٢، وفيها اليشوف القديم ويتكون أساسا من يهود متدينين موزعين في أربع مدن هي القدس* والخليل* وصفد* وطبرية*.. ٢- مرحلة ما بين ١٨٨٣-١٩٤٨، وفيها اليشوف الجديد، وهو التجمع الاستيطاني الذي نشأ بعد عام ١٨٨٢ من الهجرات الصهيونية المتتالية إلى فلسطين بهدف تنفيذ المشروع الصهيوني. أنظر / الموسوعة الفلسطينية

. https://www.palestinapedia.net/

[٢] – יוסף אורן: סוגות בספרות הישראלית: הוצאת יחד, 2004, עמ' 154- 155.

إشكالية التراجيديا الإنسانية في رواية (قصة عن الحب والظلام):

التراجيديا في رواية " قصة عن الحب والظلام ": تعبر عن وجهة نظر المغتصب، فهي نتيجة المعتقدات والأيديولوجيات والثقافات الزائفة التي توارثها اليهود جيلاً بعد جيل والتي شكلت حاجزا نفسيا واجتماعيا وسياسيا تجاه الآخر. وقد وظف عاموس عوز التراجيديا في روايته عبر عدة مستويات: مستوى المكان، ومستوى والأحداث والشخصيات بما يوضح الاتجاه الفكري والسياسي للأديب.

أولا: التراجيديا على مستوى المكان[1]: المكان أخذ أهمية كبرى في البناء الروائي، حيث وظفه الكاتب توظيفًا يعبِّر عن مراحل حياته المختلفة، ففي المرحلة الأولى نجد أن المكان الذي نشأ فيه كان مأساويًا وكان له الأثر السلبي والسيئ في حياته. فوصفه قائلًا: " נולדתי וגדלתי בדירת-קרקע קטנה מאוד, נמאוכת תקרה, כשלושים מטרים רבועים: הורי ישנו על ספת-מגירה שהיתה ממלאת את חדרם כמעט מקיר לקיר כאשר נפתחה מדי ערב...כך שימש חדרם גם חדר שינה גם חדר עבודה גם ספרייה גם חדר אוכל וגם חדר אורחים. מול החדר הזה היה החדרון שלי הירקרק, שאת חצי שטחו מילא ארון בגדים עב-כרס. פרוזדור אפל צר ונמוך, מפותל קצת, דומה למנהרת בורחי כלא, חיבר את המטבחון ואת כוך השירותים אל שני החדרים

[1] – يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لأنه يتحول أحيانًا إلى فضاء يحتوى كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات، ويمنحها المناخ الذى تفعل فيه، وتعبر عن وجهة نظرها، ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية، والحامل لرؤية البطل، والممثل لمنظور المؤلف، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله" أنظر/ حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠، ص٣

הקטנים . נורה קלושה שנכלאה בתוך כלוב ברזל שפכה על הפרוזדור הזה גם בשעות היום אור-לא- אור עכרורי. "[١]

"ولدت وترعرعت في بيت أرضي صغير جداً ذات سقف منخفض لا تتجاوز مساحته الثلاثين متراً مربعاً، والديّا ناماَ على كنبة دُرج كانت تفتح مساء كل يوم تشغل الغرفة من الحائط إلى الحائط ...كانت غرفتهما تعتبر غرفة نوم وعمل ومكتبة وطعام وغرفة ضيوف.

مقابل هذه الغرفة كانت غرفتي الخضراء، التي احتلت نصف مساحتها خزانة ملابس ضخمة ممتلئة. كان يربط بين هاتين الغرفتين الصغيرتين والمطبخ وكوخ المنافع ممر مظلم وضيق ومنخفض وملتوٍ بعض الشيء

يشبه سرداب الهاربين من السجن، يربط المطبخ الصغير دورة المياه بالحجرتين الصغيرتين مصباح كهربائي ضعيف محاط بقفص حديدي، كان يلقي بضوئه الباهت المتكدر على هذا الممر في ساعات النهار أيضاً.."

المرحلة الثانية من حيات عوز هي المرحلة التي قرر فيها أن ينتقل إلى العيش في كيبوتس "حولدا"[٢] بعد انتحار أمه [٣]، فقد وصفه بصورة مأساوية

---

[١] – עמוס עוז : " ספור על אהבה ו חושך" עמ' 5.

[٢] קיבוץ (الكيبوتس): أهم أنواع البناء الاستيطاني، وأكثرها شهرة، وأشدها تأثيرًا على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمع الإسرائيلي. وكيبوتس حولدا هي كيبوتس في وسط إسرائيل (فلسطين المحتلة) أسستها المنظمة الصهيونية في عام ١٩٠٨م. للمزيد أنظر أ.د زين العابدين محمود حسن: الكيبوتس بين المثالية والواقع في القصة عند أهارون ميجد ،١٩٩٤م،

https://www.homee.co.il/חולדה

[٣] كان سبب انتحار أم عاموس عوز وهو في الثانية عشر من عمره – الذي كان له الأثر الكبير في مأساته – غامضًا لذلك لجأ عاموس عوز إلى تفسيرات مختلفة لهذا الحادث، ==

تعبر عن الخوف والرعب الذي يعيشه الإسرائيلي داخل الكيبوتس قائلا: "
מסביב לקיבוץ חולדה שרר חושך עמוק, מדי לילה תהום שחורה התחילה להשתרע במרחק שני מטר מעיגול אורותיהם המצהבים של פנסי הגדר, ונמשך עד קצווי הלילה, כוכבי השמים הרחוקים. מעבר לגדר התיל רבצו שדות ריקים, בוסתנים שממים באפלה, גבעות באין נפש חיה, גנים עזובים ברוח הלילה... ובתוך הריק הגדול הזה חלפו באשון- לילה המסתננים, הפדאיון. ובתוך הריק הגדול היתה גם החורשה אשר בגבעה..., וביניהם שוטטו בחושך תנים זבי ריר שיבבתם השיגעונית, מסמרת השיער, היתה פולחת את שנתנו ומקפיאה את הדם לפנות בוקר. [1]

" حول كيبوتس حولدا خيَّم ظلام دامس. في كل ليلة هاوية سوداء بدأت تمتد على بعد مترين من دوائر أضواء مصابيح السياج الأصفر وتستمر حتى أطراف الليل، حتى نجوم السماء البعيد ...خلف سياج الأسلاك الشائكة امتدت حقول خالية، وبساتين مقفرة في الظلام، وتلال خاوية لا حياة فيها، حدائق مهجورة في هذا الليل البهيم ... وفي داخل هذا الخواء الكبير كان يمر في منتصف الليل المتسللون، الفدائيون. وبداخل هذا الفراغ الكبير يوجد أيضا الغابة الموجودة على الهضبة والمزارع، وبينها

==

فذكر أنه بتأثير البيئة التي نشأت بها واستوعبت فيها مفاهيمها عن قيم الحياة، وذكر في موضع آخر من الرواية أنها كانت تلجأ إلى العزلة عمَّا حولها بسبب تناقض أفكارها معهم ممَّ أدى إلى تفكيرها في الانتحار، وفي تفسير ثالث أنه بسبب الواقع السيئ الذي اصطدمت به في فلسطين، وحياة البؤس والضيق التي كانت تعيشها ، وربما أيضا عدم احتمالها إحباطات حياتها الزوجية . ورغم هذه التفسيرات لم يتمكن عاموس عوز من فك رموز لغز انتحار أمه بشكل يقيني. أنظر / עמוס עוז :" ספור על אהבה ו חושך" עמ' 250 – 252 و עמ' 312- 313.

وأنظر أيضًا/ יוסף אורן : סוגות בספרות הישראלית,שם , עמ' 162.

[1] עמוס עוז :" ספור על אהבה ו חושך" עמ' 571 – 572.

يتجول في الظلام بنات آوى[١] التي يسيل اللعاب من فمها ويخترق نباحها الجنوني، الذي تقشعر له الأبدان، وكانت تقلق نومنا، ويجمد الدماء في عروقنا قبيل الفجر"

ربما في ذِكْر عاموس عوز لابن آوى رمزية تحمل وصف العرب بالمكر والخداع، وهي صورة من صور تشويه العربي في الأدب العبري، المبدأ الصهيوني الذي التزم به معظم الأدباء الإسرائيليين.

ممَّ سبق نجد أن المكان أدى دورًا مهمًا في الرواية؛ حيث استخدم عاموس عوز في هذا الوصف الموحش للمكان ما يسمى بالمعادل الموضوعي– أي (الأداة الرمزية المستخدمة للتعبير عن مفاهيم مجردة مثل: العواطف) – ليعبر عما بداخله من مشاعر الخوف والرعب والاكتئاب والاغتراب.

ثانيًا: التراجيديا على مستوى الشخصيات [٢]: جاءت الشخصيات في الرواية مأساوية تعاني من ويلات الحياة. حيث صور عاموس عوز معاناته منذ طفولته في علاقاته بالآخرين وخاصة علاقته بوالديه. فيقول:

---

[١] תנים (**بنات آوى**): اسم يُطلَق على أي من الفصائل الأربع الصغيرة، أو المتوسطة الحجم والتي تنتمي لعائلة الكلبيّات. يتشابه دور ابن آوى بدور ذئب البراري؛ حيث يعتبر كل منهما (آكلا للجيف) ومفترسًا ثانويًا حيث تساعده قوائمه الطويلة وأنيابه المعقوفة لصيد الطيور والزواحف وغيرها من الثدييات.

https://ar.wikipedia.org/wiki/

[٢] تحتل الشخصية مكانة مهمة في بنية الشكل الروائي، فهي من الجانب الموضوعي أداة ووسيلة الروائي للتعبير عن رؤيته، وهي من الوجهة الفنية بمثابة الطاقة الدافعة التي تتحلق حولها كل عناصر السرد، على اعتبار أنها تشكل المختبر للقيم الإنسانية التي يتم ==

" קשורים ודבוקים זה לזב היינו בימים הסתיו ההוא כמו שלושה נידונים בתוך תא, ועם זאת, כל אחד היה לנפשו: כי מה יכלו הוא והיא לדעת על לילות שלי? על כיעורו האכזרי של הגוף? ...שום דבר לא שיערו הורי. אלף שנות אור הפרידו בינם לביני. לא שנות אור. אלף שנות חושך.אבל מה ידעתי אני על סבלם שלהם?והם? שניהם ? זה מול זה ? מה ידע אבי על אסונה ? מה הבינה אמי בסבולו?[1]

" مرتبطون وملتصقون كل منا بالآخر في أيام هذا الخريف كثلاثة سجناء محكوم عليهم بالسجن في زنزانة واحدة. ومع ذلك يعيش كل منا وحيداً: فماذا يعرف هو أو هي عن آلامي الليلية؟ عن المعاناة البشعة لجسدي؟ ...فلم يعرف والداي عن معاناتي أي شيء. المسافة بيني وبينهم ألف سنة ضوئية. ليست ألف سنة ضوئية وإنما ألف سنة من الظلام. ولكن ماذا أعرف أنا عن معاناتهما؟ كلاهما ماذا يعرف كل منهما عن الآخر؟ فماذا يعرف أبي عن مصيبتها؟ ماذا تعرف أمي عن معاناته؟"

نجد في هذا المقطع من الرواية صورة تعبِّر عن مأساة عائلة بطل الرواية عاموس عوز وتؤدي دوراً كبيراً في تأكيد مشاعر الاغتراب الشديد الذي يعيشه كل فرد من أفراد الأسرة رغم أنهم سوياً في مكان واحد.

==

نقلها من الحياة، ومجادلتها أدبياً داخل النص. أنظر/الشخصية ومحلها في الرواية: القدس العربي، محمد العباس، ٢٧/ إبريل، ٢٠١٦م .

https://www.alquds.co.uk/

[1] עמוס עוז :" ספור על אהבה ו חושך" עמ' 507

ولعل في هذا المقطع من الرواية ما يفسر ظهور لوحة الفنان الإسباني بيكاسو[١] على غلاف الطبعة الرئيس للرواية والتي صدرت عام ٢٠٠٢م والتي تسمى "تراجيديا" عرضت عام١٩٠٣م، وهي صورة طفل أعمى مع والديه تعبِّر عن الفقر والبرودة، وهم حفاة، لا يحتضنونه ولا يلتفتون إليه، وهو ما يشبه وضع عاموس عوز البائس. ولم يكتف عاموس عوز بوصف مأساة العائلة بل امتد إلى وصف مأساة المجتمع اليهودي[٢] بعد حرب ١٩٤٨م على الرغم من انتصار الإسرائيليين واحتلال الأرض قائلًا:"כעת, ככלות " השנים הנשגבות", הגיע אלינו לפתע "בוקר המחרת " : אפרורי, מדוכדך, לח וקמצן וקטנוני."[٣]

" الآن بعد انتهاء السنوات الجليلة، حان فجأة صباح: مكفهر وكئيب، ورطب ومقتر، وتافه"

بهذا الوصف ينقل عوز الحالة النفسية للإسرائيليين بعد النصر، فهي تخالف الطبيعة فبدلًا من الفرح بالنصر شعروا بالكآبة والاضطراب وتفاهة

---

[١] هي لوحة للرسّام الأسباني "بابلو بيكاسو" ، وإحدى لوحات الفترة الزرقاء، والفترة الزرقاء هي فترة أعقبت انتحار صديق بيكاسو، الشاعر الفرنسي كارلوس كاسيجماس، بدأت عام ١٩٠١ وانتهت عام ١٩٠٤. رُسمت "التراجيديا" بأسلوب تعبيري ركَّز على الانفعالات العاطفية والحالات النفسية للرسام ورؤيته الشخصية للعالم.

A Life of Picasso: The Prodigy, 1881-1906 Paperback - Deckle Edge, October 16, 2007

https://midan.aljazeera.net/art/finearts/2017/ %A9

[٢] איריס מילנר : סיפור משפחתי : מיתוס המשפחה בסיפור על אהבה וחושך וביצירתו המוקדמת של עמוס עוז, ישראל 7, 2005

https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/00397-files/00397213.pdf

[٣] עמוס עוז" ספור על אהבה ו חושך" עמ' 436.

العمل الذي قاموا به؛ الأمر الذي يعكس معاناة المجتمع الإسرائيلي من وجهة نظر الأديب.

ثالثًا التراجيديا على مستوى الأحداث[١]: فقد وظَّف عاموس عوز التراجيديا توظيفاً واضحاً، من خلال ربط الأحداث الشخصية بالأحداث العامة والتي بدورها أسهمت في تحولاته النفسية والفكرية.

فمن الأحداث العامة التي أسهمت في تحوله: عندما سمع مع والديه وأقاربه خطبة "بيجن"[٢] بقاعة أديسون بالقدس، خرج وعلى وجنتيه آثار صفعات من جده ألكسندر عقابًا له؛ لأنه ضحك على كلمة "لبيجن" كان فهمها عوز خطأً. كان ذلك الحدث أول رحلة تخلصه من الأفكار اليمينية التي تشبع بها في طفولته والتي جعلت منه طفلا متطرفا حيث وصف نفسه واتجاهه الفكري من خلالها قائلا:"באותם הימים כבר הייתי לא ילד כי אם ערימת טיעונים צדקנית. שוביניסתט קטן בעור של רדוף שלום. לאומן מתחסד וחלק-לשון. תועמלן ציוני בן תשע: אנחנו

[١] الحدث: في الرواية هو مجموعة من الأفعال والوقائع، مرتبة ترتيبًا سببيًا، تدور حول موضوع عام، وتصوِّر الشخصية، وتكشف عن أبعادها وهي تعمل عملًا له معنى، كما تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى، والحدث المحور الأساس الذي ترتبط به باقي عناصر الرواية ارتباطًا وثيقًا. أنظر/ بنية الشخصية والحدث الروائي، المجلة العربية، ٢٣/ ١/٢٠١٢م
http://www.arabicmagazine.com/arabic/articleDetails.aspx?Id=1662

[٢] – "بيجن" رئيس الوزراء الإسرائيلي من ١٩٧٧ إلى ١٩٨٣، ولد في بريسك في روسيا، حصل على شهادة في القانون، جامعة وارسو، هاجر إلى إسرائيل عام ١٩٤٢م وتوفى ١٩٩٢م، شغل عددًا من المناصب العامة منها زعيم الليكود، عضو الكنيست، رئيس وزراء إسرائيل.
https://main.knesset.gov.il/About/Lexicon/Pages/begin_men.aspx

הטובים והצודקים, אנחנו הקרבן על לא עוול בכפו, אנחנו דויד מול גוליית ואנחנו הכבשה בין שבעים זאבים ואנחנו השה לעול ואנחנו הגדי מן ההגדה ואנחנו הצבי -ישראל, והם – כל ההם – אנגלים וערבים ושאר גויים, הם שבעים הזאבים״[١]

" **في تلك الأثناء لم أكن طفلا بل كومة المبررات المتزمتة، متطرف صغير في زي محب للسلام، متعصب منافق مداهن، داعية صهيوني في التاسعة من عمره يقول: نحن الطيبون الصادقون، نحن الضحية التي لم نقترف أي ذنب، نحن داوود ضد جليات، ونحن الشاة بين السبعين ذئبًا... وهم – جميعًا– إنجليز وعرب وغيرهم من الأغيار هم السبعون ذئب.**"

يوضح عوز هنا كيف استغل اليهود الصهاينة القصص الدينية والتراثية كاتجاه تربوي؛ لذرع صورة سلبية تجاه الآخر، وكيفية التعامل معه سواء كان الآخر عربيا أو أي جنسية أخرى.

كما أشار عوز في الرواية أنه ألف العديد من القصص والقصائد المفعمة بالأفكار اليمينية المتطرفة وهو مازال في سن صغيرة مستندًا على موروثه الثقافي قائلا: ״ אני הייתי ילד לאומי יודק בשנות כיתה ד׳ וכיתה ה׳ בבית-הספר תחכמוני. חיברתי סיפור הסטורי בהמשכים ושמו ״קץ מלכות יהודה״ וכמה שירי כיבוש ושירי-מכבים-ובר-כוכבא ושירי גדלות לאומית, שהיו דומים לחרוזיו הפטריוטיים הנלהבים של סבא אלכסנדר....״ [٢]

" **كنت طفلا قومياً متعصباً بالصف الرابع والخامس بمدرسة "تحكموني" ألفت قصة تاريخية مسلسلة باسم (نهاية مملكة يهوذا)، وبعض أشعار عن**

[١] - עמוס עוז״ ספור על אהבה ו חושך״ עמ׳ 380.
[٢] - עמוס עוז״ : שם, עמ׳ 474.

الاحتلال وعن المكابيين وباركوخبا، وأشعار فخر قومي تشبه الأشعار الوطنية الحماسية التي يكتبها جدي ألكسندر ...

تأثر عاموس عوز أيضًا بحادث انتحار والدته وهو في سن الثانية عشر من عمره، وهو الحدث الرئيس الذي كان له أثراً جليا على حياته، فقد أدى إلى تعزيز تحوله من الفكر اليميني المتطرف إلى الفكر اليساري[1]؛ حيث دفعَه هذا التحول إلى الانتقال للعيش في الكيبوتسات وقام بتغيير لقبه من "عاموس كلوزنر" إلى "عاموس عوز"

وهنا سؤال يطرح نفسه: هل تخلى عاموس عوز عن الصهيونية بعد تحوله الفكري واتجاهه للفكر اليساري ومناداته بحل الدولتين؟ وهل تحول عن الأفكار والمعتقدات السلبية الراسخة لدى اليهود تجاه الآخر؟ مثل:

---

[1] لا يختلف اليمين عن اليسار في نظرتهم لمسألة التسوية مع الفلسطينيين والعرب ، ومن الناحية الإيديولوجية، فإن اليسار واليمين يجمعان على قداسة أسطورة الاستيطان، فهما وجهان لعملة واحدة كما يؤكد رئيس الكنيست الأسبق أبراهام بورج فإن اليسار يدعم الأفكار، واليمين ينفذها. ورغم اتفاقهم، أي اليمين واليسار، حول صهيونية الدولة، فمن الصعب تحديد من هم الحمائم ومن هم الصقور، فبن جوريون الزعيم الأسطوري عن حزب العمل" اليساري" هو الذي قاد عملية التطهير العرقي للسكان الأصليين في فلسطين عام ١٩٤٨، وكان مناحيم بيجن الصقر الأسطوري هو الذي وقع على صفقة السلام مع مصر في ١٩٧٧، وهو نفسه وزير الجيش عن حزب العمل الذي أمر القوات الإسرائيلية بكسر أذرع وأرجل ناشطي الفصائل الفلسطينية. أنظر/ اليسار واليمين الإسرائيلي.. وجهان لعملة صهيونية ، فلسطين اليوم- القدس المحتلة، ٥ / مايو/٢٠١٠م https://paltoday.ps/ar/post/80108/ ، إحسان مرتضى: أكذوبة اليمين واليسار في إسرائيل، ٢٠١٦م https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/

(فكرة معاداة السامية –فلسطين أرض بلا شعب لشعب – كراهية العرب لليهود)، وغيرها من الأفكار السلبية المعادية للإنسانية؟

للإجابة على ما سبق فإن فكرة المعاداة للسامية. التي رسم اليهود الصهاينة من خلالها تراجيديا إنسانية؛ لكسب تعاطف العالم في حل المشكلة اليهودية، وإنشاء وطن قومي لليهود. نجد أن عاموس عوز عبَّر عنها في روايته في أكثر من موضع على مدار الرواية قائلا: ״כל העולם היה רחוק, מושך, פלאי אבל מסוכן מאוד ועוין לנו: לא אוהבים את היהודים מפני שהם פקחים חריפים ומצטיינים אבל גם רעשניים וקופצים בראש... שם, בעולם, כל הקירות היו מכוסים בכתובות שטנה,״יהודון, לך לפלסטינה,״ והנה הלכנו לפלסטינה ועכשיו כל העולם קם וצועק עלינו, ״יהודון, צא מפלסטינה״ [1]

" كان العالم بأكمله بعيداً جذاباً، مدهشاً لكنه خطير للغاية ومعادٍ لنا: لا يحبون اليهود؛ بسبب أنهم أذكياء، ثاقبوا الفكر، بارعون لكنهم مثيرون للضوضاء ومتهورون. هناك في هذا العالم كانت كل الحوائط مغطاة بكتابات تنم عن كراهية اليهود: أيها اليهودي، اذهب إلى فلسطين، وها نحن ذهبنا لفلسطين " والآن يقوم العالم كله يصرخ: أيها اليهودي أخرج من فلسطين "

زعم عاموس عوز أن ذكاء وبراعة اليهود كان سببا في كراهية العالم لهم، وهو ما يعرف (بمعادة السامية) إلَّا أن الدراسات أثبتت أن معاداة اليهود كانت رد فعل على التصرفات اليهودية المعيقة لانطلاقة الحضارة الأوروبية؛

[1] עמוס עוז :״ ספור על אהבה ו חושך״ עמ׳ 8.

وذلك لعملهم بالربا وسيطرتهم على المجال الاقتصادي في أوروبا، وغير ذلك،،،[1]

وقال أيضًا عن تربص العالم باليهود في موضع آخر: "החיידקים היו אחד הסיוטים האפלים ביותר שלנו. כמו האנטישמיות: אף פעם לא יצא לך לראות במו עיניך אנטי שמיות או חיידקים, אבל ידעת טוב מאוד שהם אורבים לך מכל עבר, רואים ואינם נראים" [2]

" كانت الميكروبات أحد كوابيسنا المزعجة للغاية، مثل معاداة السامية، فلم يحدث مرة أن شاهدت بأم عينك معاداة السامية أو ميكروبات، ولكنك تعرف جيداً أنهم متربصون بك من كل ناحية، يَرون ولا يُرون"

كما وظف عاموس عوز الاعتقاد لدى اليهود بأن: (فلسطين أرض بلا شعب وأن اليهود شعب بلا أرض) في الرواية توظيفًا يؤثر في المتلقي أنه من السهل احتلال أرض فلسطين لقلة سكانها ووجود مساحات تستوعب المهاجرين اليهود وهو وصف إذا قورن بالواقع يثبت زيف هذا الاعتقاد: فقال على لسان خالته سونيا:

"כמובן שידענו כמה קשה בארץ: ידענו שחם מאוד, שמם, ביצות, חוסיר עבודה, וידענו שיש ערבים עניים בכפרים, אבל ראינו על המפה הגדולה שהיתה תלויה בכיתה שהערבים הם לא רבים, אולי היו אז בארץ חצי מיליון, בוודאי פחות ממיליון אחד, והיה ביטחון גמור בזה שיש די מקום לעוד כמה מיליוני יהודים... אבל הלוא

[1] د/ عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نمذج تفسيري جديد، ٢، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ،١٩٩٩م، ص٣٣٣- ٣٥٥، د/ أحمد عبد اللطيف حماد: رسالة المشرق، العدد ٣/٢، المجلد الثاني، ديسمبر ١٩٩٣م، ص١١٨

[2] עמוס עוז: "ספור על אהבה ו חושך , עמ' 22

אפשר יהיה להסביר להם ולשכנע אותם כי רק ברכה תצמח להם מאתנו, ברכה כלכלית, רפואית, תרבותית, מה לא״ [١]

" علمنا أن الظروف قاسية للغاية في فلسطين: علمنا أن هناك الحرارة مرتفعة، خراب، مستنقعات، بطالة، وعلمنا أن هناك عرباً فقراء في القرى، لكننا رأينا في الخريطة الكبيرة التي كانت معلقة في الفصل أن العرب ليسوا كثيرين، ربما كانوا آنذاك نصف مليون، أو في الحقيقة أقل من مليون واحد، وكانت هناك ثقة تامة في أنه يوجد مكان لبضعة ملايين من اليهود ... أليس من الممكن أن نوضح لهم ونقنعهم بأن الخير سيعم عليهم عن طريقنا، خير اقتصادي، وطبي، وثقافي، ولمَ لا؟"

يؤكد عاموس عوز بعد أن نجح اليهود في احتلال فلسطين وقيام الدولة عام ١٩٤٨م أن معاناة اليهود مازالت مستمرة؛ للمزيد من كسب تعاطف العالم والوقوف بجانب اليهود في وجه أصحاب الحق في فلسطين، كما نرى أن عوز حاول إقناع المتلقي باستمرار مأساة اليهود؛ لتبرير الاستيلاء على مزيد من الأرضي، فقد قال في ذلك: הצרות הרי לא נגמור וקרוב לוודאי שהרע ביותר עדיין נמצא לפנינו: הנאצים אולי כבר נוצחו, אבל האנטישמיות ממשיכה להשתולל בכל מקום. בפולין שוב פוגרומים, ברוסיה רודפים את דוברי העברית, וכאן הבריטים עוד לא אמור את המלה האחרונה, והמופתי מדבר על שחיטת היהודים, ומי יודע מה מדינות ערב עוד מכינות לנו, והעולם הציני תומך בערבים משיקולים של נפט שווקים ואנטרסים. קל בוודאי שלא יהיה כאן. [٢]

" إن المصائب لم تنتهِ حقاً وأغلب الظن أن الأسوأ مازال ينتظرنا: ربما قُهر النازيون، ولكن معاداة السامية قد ثارت ثائرتها في كل مكان، ففي

[١] עמוס עוז: ״ ספור על אהבה ו חושך״, עמ׳ 224- 225

[٢] עמוס עוז: שם,עמ׳ 26

بولندا مذابح أخرى وفي روسيا يطاردون المتحدثون بالعبرية، وهنا لم يقل البريطانيون كلمتهم الأخيرة، والمفتي يتحدث عن ذبح اليهود، ومن يعلم ما تعده لنا كذلك الدول العربية، والعالم المستهتر يؤيد العرب لاعتبارات النفط والأسواق والمصالح المشتركة بينهما، فالراحة لن تكون هنا بالطبع"

وفي إطار توظيف الأحداث تراجيديًا استعرض عاموس عوز عددًا من المواقف والرؤى والتوجهات تجاه العلاقات العربية الإسرائيلية ليبدو كاتباً واقعياً وموضوعيا، من خلال عدد من الحوارات واللقاءات التراجيدية مع الجانبين العربي الإسرائيلي: فهل كان كذلك؟

اللقاء الأول: حينما كان طفلا يتجول في السوق مع والدته في محل ملابس للسيدات وحُبس فجأة في مخزن المحل ولم يستطع الخروج إلا بمساعدة رجل عربي الذي كان بمثابة المنقذ له:" האיש הזה רכן אלי ואמר לי דבר מה בערבית, משהו שלא הבנתי ובכל זאת תרגמתי בלבי למילים, אתה אל תפחד, ילד, אתה מעכשיו פשוט אל תפחיד יותר... ואחרי שעיין בי היטב ואחרי שהסתיר עוד חיוך או עוד צל של חיוך מאחורי שפמו הגזוז הנהן האיש

לעצמו פעמיים ואולי שלוש והושיט ולקח ועטף בידו החמה את ידי הקרה מרוב פחד, כמו מחמם בכפו אפרוח קופא, ובכך שלף אותי מתוך מגירת- החושך ההיא ופתאום גם הניף אותי באוויר ואימץ די חזק אל חזהו ובכך התחלתי לבכות" [1]

" מال هذا الرجل تجاهي وقال لي شيئاً بالعربية، شيء لم أفهمه ومع ذلك ترجمته بقلبي إلى كلمات: لا تخف أيها الطفل، لن تخف ببساطة بعد الآن ...وبعد أن حدق في جيداً وبعد أن أخفى ابتسامة أو شبح ابتسامة خلف شاربه المقصوص أومأ برأسه مرتين وربما ثلاث ومد يده والتقطني وغطى

[1] עמוס עוז : " ספור על אהבה ו חושך, עמ' 268.

بيده الدافئة يدي الباردة من شدة الخوف كمن يدفئ بكفيه كتكوتاً متجمداً وهكذا سحبني من داخل هذا الدرج المظلم وفجأة رفعني في الهواء وضمني بقوة إلى صدره وحينها بدأت في البكاء"

قدَّم عوز صورة إيجابية للعربي في بداية حياته وهو في مرحلة الطفولة فهل استمرت هذه الصورة في مخيلة عاموس عوز؟ بمتابعة أحداث الرواية نجد أنه بمرور الزمن تغير موقف عاموس عوز بالنسبة للعرب وبدأ ينظر إليهم نظرة سلبية، فيكتب عوز في الرواية:

" מה, גם הוא? "לוטש עכשיו את פגיונו העיקל, משחיז את הלהב ומתכונן לשחוט את כולנו"? גם הוא יתגנב לרחוב עמוס באמצע הלילה עם סכין ארוכה עקומה בין שיניו, לחתוך את גרוני ואת גרונות הורי ו"להטביע את כולנו בדם"? " [1]

"هل يشحذ الآن خنجره المعقوف ويستعد لذبحنا؟ أهو أيضاً يتسلل إلى شارع عاموس بمنتصف الليل حاملا سكيناً طويلا معقوفاً بين أسنانه ليشق حنجرتي وحنجرتي والديَّ وليغرقنا جميعاً في الدم؟ " .

ممَّ سبق نجد أن هذا التغير في موقف عوز تجاه العربي؛ جاء نتيجة توالي الأحداث وحدوث التناقض والصدام بين آماله كصهيوني في إقامة دولة يهودية على أرض فلسطين وبين حقوق الشعب الفلسطيني؛ الأمر حوَّل العربي من صورة رومانسية سامية إلى عدوٍ، ومن شخصية ابن الشرق القدوة إلى كابوس مفزع.[2]

وليؤكد عوز صحة الصورة التي رسمها للعرب في مخيلته وكراهيتهم لليهود فقد عرض موقف العرب من اليهود على لسان خطيب مسجد يافا

---

[1] **עמוס עוז** " ספור על אהבה ו חושך" עמ' 391.

[2] د/ رشاد عبد الله الشامي: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي، دار المستقبل، القاهرة، (د-ت)، ص ١٥٤.

قائلا: היהודים, הוסיף ואמר הדרשן במסגד הגדול ביפו, כלל אינם עם וגם אינם ממש דת – ידוע לכול כי אלוהים הרחום והרחמן עצמו מתעב אותם ומשום כך גזר עליהם שיהיו מקוללים ושנואים לעולמים בכל ארצות פזוריהם: עיקשים בני עיקשים,היהודים, הנביא(מוחמד)הושיט להם יד- והם ירקו עליו, עיסא (ישו)הושיט להם יד – והם רצחו אותו, אפילו את נביאי דתם, שלהם, הבזויה,הם עצמם היו רגילים לסקול באבנים. לא לחינם החליטו כל עמי אירופה להיפטר מהם אחת ולתמיד, ועכשיו זוממת אירופה להשליך את כולם עלינו, אבל אנחנו הערבים לא נניח לעמי אירופה לשפוך אצלנו את זוהמתם. אנחנו הערבים נעקור בחרבנו את השטן הזאת, להפוך את אדמת פלסטין הקדושה למזבלה לכל חלאת העולם. [1]

" إن اليهود عامة ليسوا شعبا وبالفعل ليسوا ديانة أيضًا – فمن المعروف للجميع أن الله الرحمن الرحيم نفسه اشمئز منهم ولذلك حكم عليهم أن يكونوا ملعونين ومكروهين للأبد في كل البلاد التي تشتتوا بها، عنيدون أبناء عنيدين، فقد مد لهم النبي محمد يد العون – وبصقوا عليه، وعيسى اليسوع مد لهم يد العون – وقتلوه حتى أنبياء ديانتهم الحقيرة، كانوا معتادين على رميهم بالحجارة، وليس عبثا أن تقرر كل شعوب أوروبا التخلص منهم نهائياً، والآن تتواطأ أوروبا لتلقيهم جميعاً علينا، لكننا نحن العرب سنبطل بسيوفنا هذه المؤامرة الشيطانية لتحويل أرض فلسطين المقدسة إلى مزبلة لكل قذارة العالم"

تحمل هذه الفقرة عددًا من المغالطات العقائدية تجاه اليهودية وتجاه المسيحية أيضا، منها قوله: "اليهود ليسوا ديانة" والصحيح أنهم في نظر الإسلام هم أهل كتاب واصطلح على تسميتها" اليهودية" ولا يُعتقد أن خطيب المسجد يمكن أن يقول هذا. وقوله أيضا: "أن عيسى اليسوع مد يد العون لهم

[1] עמוס עוז : " ספור על אהבה ו חושך, עמ' 390.

– وقتلوه." والصحيح أن سيدنا عيسى في الإسلام لم يُقتل ولم يُصلب بل رفعه الله إليه، ولا يعقل أن يقول إمام مسجد هذا القول.

ومن خلال الأحداث في الرواية يصرح عوز أن اليهود يرون أن العرب أعداء إرهابيون:

השתמש אז במילה "פלסטינאימ":הם נקראו "טרורסטים", או "פדאיון", או "האויב"או "פליטים ערב צמאי נקמה" [١]

" لم يستخدم أحد كلمة فلسطينيون فقد أطلق عليهم إرهابيون أو فدائيون أو العدو أو لاجئون عرب متعطشون للدماء "

ويعرض عوز وجهة نظر ثالثة وهي وجهة نظر (أفرايم أفنيري) أحد مؤسسي كيبوتس حولدا، التي تبناها عوز لا تخلو من غرابة في موقفه " אף אחד בעולם לא רוצה בי. הלוא זהו כל העניין... רק מפני כן אני נושא נשק, שלא יגרשו אותי גם מכאן. אבל אני במילה 'רוצחים' לא אשתמש כלפיהם במילה הזאת. כלפי נאצים- כן. כלפי סטלין – גם כן. וכלפי כל מיני שודדי ארצות לא להם." [٢]

" لا أحد في العالم يريدني، أليس هذا كل الموضوع ... ولهذا فقط أحمل سلاحاً، حتى لا يطردوني من هنا أيضا، لكني لا أستخدم كلمة (قتلة) لوصف عرب فقدوا قراهم، على كل حال لن أستخدم بسهولة هذه الكلمات لوصفهم، أستخدمها بالفعل مع النازيين، مع استالين، ومع كل سارقي الأراضي التي ليست ملكهم"

بعد عرض هذه الرؤى في العلاقات العربية الإسرائيلية يتضح توظيف التراجيديا لخدمة المساعي الصهيونية المستمرة لتشويه العرب، ولتثبيت

[١] עמוס עוז : " ספור על אהבה ו חושך, עמ' 485.
[٢] עמוס עוז : שם , עמ' 486.

المزاعم الصهيونية بأحقية اليهود في أرض فلسطين وخاصة الرؤية المتناقضة الذي تبناها عاموس عوز فهو يصرح فيها على لسان (أفرايم أفنيري) أنه لن يطلق كلمة (قتلة) على العرب الذين فقدوا قراهم ولكنه يطلقها على من يسرق أرضا ليست ملكه!!! متجاهلا أن اليهود هم من سرقوا أرض فلسطين. فهذه رؤية يرفضها المنطق والعقل والتاريخ ... وبهذا يتضح أن عاموس عوز رغم تحول من الفكر اليميني المتطرف إلى الفكر اليساري لم يتخل عن مبادئه الصهيونية ولا عن ثقافته اليهودية.[١]

المتتبع لكتابات عاموس عوز الأدبية يجد أنه كثيرًا ما تناقضت أراءه التي تبناها[٢]، ومن مظاهر التناقض اعتراف عاموس عوز بالاحتلال الإسرائيلي للقرى العربية الفلسطينية وقتل وتشريد سكانها قائلا:"כל מיני תקיפים הסתערו וחטפו להם דירות ובתים בשכונות הערביות האמידות שיושביהן נמלטו או גורשו... ואילו את מקומם של הערבים העניים, במוסררה, בליפתא, במַלחה, תפסו משפחות יהודים עניים שנמלטו מארצות ערב." [٣]

---

[١] للمزيد أنظر/ نهلة صلاح منصور أحمد راحيل: رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص ١١١- ١١٣.

[٢] أكدت العديد من الدراسات أن آراء عاموس عوز تتسم بالتناقضات ليس فقط في كتابته الأدبية وإنما في كتاباته السياسية أيضا. من هذه الدراسات: د. جمال عبد السميع مصطفى الشاذلي ١: القصة العبرية القصيرة في أدب عاموس عوز: جامعة القاهرة، رسالة ماجستير، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ٢٤٩ - ٢٥٢. انظر أيضًا / د. عمر عبد العلي علام: الأنا والآخر، في أعمال عاموس عوز، دراسة تحليلية مقارنة بين كتاباته السياسية وبعض أعماله الأدبية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٩م ، ص ٩٩ - ١٧٤.

[٣] עמוס עוז : " ספור על אהבה ו חושך" עמ' 435.

" كل المهاجمين انقضوا وأخذوا عنوة شققًا ومنازل في الأحياء العربية الثرية التي هرب سكانها منها أو تم طردهم ...بينما أماكن العرب الفقراء ...احتلتها عائلات يهودية فقيرة هربت بدورها من الأراضي العربية"

رغم هذا الاعتراف بالاحتلال إلَّا أن عوز في موضع آخر من الرواية عرض رأيًا مخالفًا حاول من خلاله إثبات حق اليهود في فلسطين بتفعيل عنصر التراجيديا الزائفة بقوله:

" במלחמת 1948 נפלו רוב היישובים העבריים הללו, יחד עם הרובע היהודי שבין חומות העיר העתיקה בירושלים , בידי הלגיון העבר-ירדני. כל יישובי היהודים שנפלו במלחמת העצמאות בידיים ערביות נמחו כליל מעל פני האדמה – כולם בלי יוצא מן הכלל – והתושבים היהודים כולם עד אחד נרצחו או נמלטו או נקלחו בשבי, אך לאיש מהם לא התירו צבאות ערב לשוב לאחר המלחמה למקומו הערבים ביצעו בשחטים שנכבשו בידיהם "טיהור אתני" יסודי עוד יותר מזה שעללו היהודים לערבים באותומלחמה: מתוך שחט מדינת ישראל נמלטו וגרשו מאות אלפי ערבים, אך למעלה ממאות אלף נותרו במקומותיהם. לערמת זאת, בגדה המערבית ורצועת עזה בימי שלטון ירדן ומצרים לא נותרו יהודים כלל. אף לא יהודי אחד "[١]

" في حرب ١٩٤٨، سقطت معظم المستوطنات العبرية في أيدي الجيش الأردني وكذلك الحي اليهودي الموجود بين أسوار المدينة العتيقة القدس، كل مستوطنات اليهود التي سقطت أثناء حرب ١٩٤٨في أيد عربية زالت تماما من على وجه الأرض كلها – دون استثناء – وكل السكان اليهود قُتلوا أو هربوا أو وقعوا في الأسر ، لم تسمح الجيوش العربية لأحد منهم بالعودة بعد الحرب إلى مكانه، لقد نفذ العرب في المناطق التي احتلوها " تصفية جماعية" أساسية أكثر مما ارتكبه اليهود ضد العرب في

[١] עמוס עוז : " ספור על אהבה ו חושך" עמ' 388.

نفس الحرب : فقد هرب مئات الآلاف من العرب من داخل دولة إسرائيل وطردوا منها، ولكن ظل أكثر من مائة ألف آخرين في أماكنهم، وفي مقابل هذا، في الضفة وقطاع غزة ... لم يتبق يهودي عامة ، ولو حتى يهودي واحد".

وهذا ما كذبه الواقع ودحضه كتابهم الإسرائيليون: فقد قال " بني موريس ": من الأهداف الأساسية التي أُلزمت الهاجاناه[١] بتحقيقها، السيطرة على المناطق الاستراتيجية التي تركها البريطانيون والسيطرة على طرق المواصلات الرئيس وعلى المدن الكبرى بل إن الهدف الرئيس لها، القضاء على الوجود العسكري للفلسطينيين والاستيلاء على مدنهم وقراهم ، كما وجهت أوامر لقادة اللواءات والكتائب العسكرية تعليمات بالتدمير الشامل للقرى العربية التي تبدي أية مقاومة "[٢]

بعد توظيف عاموس عوز للتراجيديا على مستويات عديدة في قضية الصراع العربي الإسرائيلي لإقناع المتلقي بأحقية اليهود في أرض فلسطين، انتقل لتشويه الشخصية العربية وعدم جدوى السلام معها إلا بإخضاعها بالقوة لقبول هذا السلام المشروط، كان هذا اللقاء في الرواية بحضور أسرة

---

[١] – "הגנה"الهجانا: اسم عبري معناه (الدفاع) وهي عبارة عن فصائل من الشباب الصهاينة كانت تمثل قوات دفاع سرية لحماية المستوطنين اليهود وذلك قبل قيام الدولة، تم تأسيس الهاجانا ١٩٢٠ من قِبل حزب الوحدة العمالية تعريف "الهاجانا" على أنها منظمة وطنية تهدف إلى توفير حماية شاملة للجالية اليهودية . אנציקלופדיה יהודית לנושאים בתרבות ישראל לתחומיה.
http://www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp?id1=3244

[٢] – בני מוריס : קורבנות, תולדות הסכסוך הציוני-העברי 1881- 2001, תרגם מאנגלית : יעקב שרית, הוצאת עם עובד, תל אביב, 2003, עמ' 198.

الطفل عاموس عوز بدعوة من عائلة السلواني العربية، وقد حدث أن تسبب عاموس عوز في إصابة الطفل العربي "عواد" من عائلة السلواني؛ الأمر الذي أدى إلى حرص عائلة عاموس عوز على الاعتذار لعائلة الطفل العربي دون جدوى:

״ודאי היה בכוונתם של הורי, וגם של סטאשק ומאלה, להתקשר ולברר מה שלומו של הילד עוואד ועד כמה רצינית היא פציעתו. ודאי התכוונו למצוא דרך להביע את צערם ובשתם. אולי שקלו להציע פיצוי נאות ... אבא טלפן אפוא באומץ אל משרדי הפירמה ״סילואני בע״מ״, ששכנו במורד רחוב הנסיכה מרי, הציגעצמו באנגלית וגם בצרפתית, לדבר עם מר אל – סילואני האב...תשובה מאת משבחת סלואני לא קבלנו״[1]

" حقاً كان في نية والدي ...أن يتصلا ويستفسرا عن صحة الطفل عواد وعن خطورة جرحه. حقا ارادا أن يجدا وسيلة يعربان بها عن أسفهما وخجلهما. ربما فكرا في عرض تعويض مناسب ... وكذلك اتصل أبي بجرأة بمكاتب شركة (السلواني وأبناؤه محدودة الضمان) التي مقرها بمنحدر شارع الأميرة ماري ، عرف نفسه بالإنجليزية وأيضاً بالفرنسية وطلب أن يتحدث إلى السيد السلواني الأب...لكننا لم نتلق ردًا من عائلة السلواني".

وفي هذا إشارة إلى أن العرب لن يقبلوا السلام الإسرائيلي الذي ينادي به الإسرائيليون، وأنهم لن يعرفوا إلا لغة القوة ولن يخضعوا إلاَّ بالعنف والقهر.

وللتدليل أن الشخصية العربية تتسم بالقسوة والظلم ولا يجدي معها إلا القوة حتى أثناء السلام؛ فقد جاء وصف عاموس عوز لوالد الطفل عواد وهو يعاقب أخته عائشة بعد حادث الإصابة:״ ראיתי מרחוק איך איש

[1] - עמוס עוז : ״ ספור על אהבה ו חושך״ עמ׳ 375 - 376.

משתולל אחד, ליד בור-המים שבמרכז החצר המרוצפת, עומד ומכה את עאישה, לא באגרופים ולא בסטירות לחי כי אם במכות יד רחבות כבדות ותכופות, מכה אותה באכזריות, לאט, לעומק, מכה אותה על ראשה על גבה על כתפיה ולרוחב פניה, לא כפי שמענישים ילד אלא כמו ששופכים חמת-זעים פראית על סוס. או על גמל סורר״[1]

" رأيت من بعيد رجلا ثائراً، بجوار بئر الماء الموجود في منتصف الساحة المرصوفة، يقف ويضرب عائشة، ليس باللكمات أو الصفعات وإنما لطمات يدوية كثيرة وشديدة ومتتالية، ضربات وحشية، ببطء، بقسوة على رأسها وعلى ظهرها، وعلى كتفها وعلى كل وجهها، لا كمن يعاقب طفلا، وإنما يصب جام غضبه الهمجي على حصان أو على جمل هارب"

كما يؤكد عاموس عوز في مناسبات عديدة على مدار الرواية على أن هذه الأرض هي أرض إسرائيل وأن هجرة اليهود إليها هي عودة لأرض صهيون :

״איך אאיר את עיניה של הילדה הלא-יודעת הזאת להבין אחת ולתמיד את צדקתה של בית ציון? בעזרת פנטומימה? בתנועות מחול? ואיך אַקנה לה באין מילים את תודעת זכותנו על הארץ?

...ומחווה באוזניה את הדעה שבארץ -ישראל יש די מקום לשני העמים, אם רק ישכילו לחיות זה עם זה בשלום ומתוך כבוד הדדי״ [2]

"كيف أوضح لهذه الطفلة غير المدركة أن تفهم دائماً حق العودة إلى صهيون؟ وكيف أجعلها تدرك بدون كلمات حقنا في الأرض... أقنعها بالرأي بأنه يوجد على أرض إسرائيل مكان يكفي لشعبين، إذا تمكنوا من العيش معنا في سلام واحترام متبادل"

[1] - עמוס עוז : ״ ספור על אהבה ו חושך, עמ׳ 374 .

[2] - עמוס עוז : שם, עמ׳ 369 - 370.

وهنا يؤكد عوز على أحقية اليهود في فلسطين وأن الأرض هي أرض إسرائيل، وحل الصراع هو في إقامة دولتين، وأن الإسرائيليين هم الأصل، وإذا أقيمت دولة للفلسطينيين فهي دولة بلا مقومات. وذلك يتفق مع مفاهيم الإيديولوجية الصهيونية.[١]

وعندما يعرض عوز رأي العرب في الصراع مع الإسرائيليين يومئ أن الإسرائيليين ينزعون الأرض من ملاكها الفاسدين (أي أن العرب هم الفاسدون) – من وجهة نظره – لا يستحقون هذه الأرض قائلا:" בעניה הערבים במרחבי הארץ, היתה כל הארץ אדמת ערבים זה מאות בשנים. עד שבאו הבריטים ועודדו המוני זרים לא מכאן לפשוט במרחבי הארץ, ליישר גבעות ולעקור כרמי זית עתיקים בתחבולותיהם את האדמה, חלקה אחד חלקה, מידי בעלי קרקעותמושחתים, ולנשל מעליהאת האיכרים אותה זה כמה דורות ... [٢]

" في رأي العرب كانت الأرض كلها عربية منذ مئات السنين حتى جاء البريطانيون وشجعوا حشوداً غريبة ليست من المكان على الانتشار في أنحاء الأرض على توطئة التلال واقتلاع كروم الزيتون القديمة وامتلاك الأرض بحيلهم، قطعة تلو الأخرى من أيدي ملاكها الفاسدين وطرد الفلاحين الذين يزرعونها منذ أجيال عديدة "

وفي مسار آخر يحاول عاموس عوز أن يلقي باللوم على أوروبا في الصراع العربي الإسرائيلي وتوتر وقلق الجانبين من المصير إذا فَقد أي طرف حقه، عارضاً نظر كل منهما للآخر قائلا:"

---

[١] - أ.د/ محمد خليفة حسن: الشخصية الإسرائيلية ، دراسة في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٢، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة،(د – ت)، ص ٨٨.

[٢] - עמוס עוז : " ספור על אהבה ו חושך" עמ' 381 .

הקונפליקטים הנוראים ביותר הם לא פעם דווקא אלה המתגלעים בין שני נרדפים. רק במשאלת-לב רגשנית הנפוצה בכמה חוגים, הנרדפים והשוקים באשר הם מתאחדים תמיד מתוך רגשי סולידריות וצועדים כאיש אחד אל הבריקדות כדי להילחם יחדיו במדכאם האכזר. לאמיתו של דבר, שני ילדים של אב מכה ומתעלל, לא בהכרח הם נעשים בני בריח, ולא תמיד שותפות הגודל מקרבת אותם זה לזה. לא פעם הם רואים איש באחיו לא אח לגורל כי אם דווקא את צלם פניו המבעיתים של רודפים המשותף.אולי כך הם בני הדברים בין ערבי ליהודי, זה כמאה שנה :אירופה שהתעללה בערבים, השבילה ועשקה אותם באמצעות האימפריאליזם, הקולוניאליזם, הניצול והדיכוי – היא-היא אירופה לעקור אותם מכל קצווי היבשת ולרצוח כמעט את כולם. אבל הערבים מביטים בנו ורואים לפניהם לא קומץ ניצולים היסטוריים למחצה אלא שלוחה חדשה ויהירה של אירופה הקולוניאלית, המשוכללת והנצלנית, שחזרה בעורמה אל המזרח – הפעם בתחפושת ציונית- כדי לבוש ולנצל ולנשל ולעשוק. ואילו אנחנו, מצדנו, מביטים בהם ורואים לפנינו לא קרבנות כמותנו, לא אחים לצרה, אלא קוזקים עושי פוגרומים, אנטישמים צמאי-דם, נאצים בתחפושת: כאילו רודפינו האירופים שבו והופיעו כאן בארץ-

ישראל, התעטפו בכאפיות, גידלו שפמים, אבל הם-הם שופכי-דמינו הוותיקים, שכל עניינם מאז ומתמיד אינו אלא לחתוך את גרונותיהם של היהודים לשם ההנאה והשעשוע" [1]

" الصراعات المريعة للغاية هي تلك التي تنشب عادة بين طرفين مضطهدين ...ربما كان هو شكل الأمور بين العربي واليهودي منذ مائة عام ؛أوروبا التي نكلت بالعرب ،أذلتهم وظلمتهم عن طريق سياسة التوسع الاستعماري والاستغلال والقهر – هي نفسها أوروبا التي اضطهدت اليهود وقمعتهم ، وفي النهاية سمحت للألمان وربما ساعدتهم لاقتلاع اليهود من كل أنحاء القارة ولقتلهم جميعاً تقريبا ، لكن العرب ينظرون إلينا ، ولا

[1] - עמוס עוז : " ספור על אהבה ו חושך" עמ' 388 - 389 .

يرون حفنة من ناجين شبه تاريخيين ، إنما رافداً جديداُ ومتغطرساً لأوروبا الاستعمارية المتقدمة الاستغلالية التي عادت بدهاء إلى الشرق – متنكرة هذه المرة في زي صهيوني – حتى تعود وتستغله وتطرد وتضطهد، بينما نحن من جانبنا، ننظر إليهم ولا نرى ضحايا مثلنا، ولا إخوان في المحنة إنما قوقازيين مرتكبي مذابح، معادين للسامية متعطشين للدماء، نازيين متنكرين: وكأن مضطهدينا الأوروبيين قد عادوا وظهروا هنا في أرض إسرائيل، وتلفحوا بالكوفيات، ونموا الشوارب، لكنهم أنفسهم سافكوا دماؤنا القدامى وكل ما يهمهم دائماً وأبدا هو قطع حناجر اليهود من أجل المتعة والتسلية "

ممَّ سبق يمكن القول إن عوز وظَّف التراجيديا على جميع المستويات في الرواية لخدمة أهداف صهيونية غير إنسانية، مما يؤكد أن الفكر اليميني والفكر اليساري هما وجهان لعملة واحدة. كما أكد رئيس الكنيست الأسبق قائلا: إن اليسار يدعم الأفكار دائماً ولكن اليمين هو الذي ينفذها. ومن هنا يمكن القول إن ما اتبعه عوز من توظيف تراجيدي في الرواية على كل المستويات – الشخصيات والأحداث الخاصة والعامة هو اتجار بالمأساة – يعد من أبرز سمات الأدب العبري الذي قال عنه يوسف بن أورن [١] : أن الأدب العبري هو الأدب الوحيد الذي أقام دولة حيث وظف الأدباء اليهود كتاباتهم لخدمة أهداف محددة تطبيقًا لخطط وضعت للقضاء على الفلسطينيين واحتلال الأرض وتهويدها..

[١] יוסף בן אורן : משבר ערכים בספרות הישראליות, הוצאת יחד, ראשון ליציון, 2007, עמ' 40 - 41

مضمون رواية" بينما ينان العالم"

رواية" بينما ينام العالم "هي باكورة الأعمال الأدبية للكاتبة الفلسطينية سوزان أبو الهوى حول القضية الفلسطينية، تستعرض الرواية تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي حتى عام ٢٠٠٣؛ حيث استلهمت الأديبة موضوعها من هذا التاريخ واستعانت ببعض الوثائق التي تدعمه، وبعض صفحات من كتب. منها: (صعود فلسطين وسقوطها) للأمريكي نورمان فنكلشتاين[١]،

تعرض الرواية قصة عائلة (أبو الهيجا) الفلسطينية التي كانت تعيش في استقرار وسلام في إحدى القرى الفلسطينية الهادئة، إلا أنها منذ الإعلان عن قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م تعرضت لمأساة إنسانية. حيث تم ترحيلها قسرا عن قريتها إلى مخيم اللاجئين في " جنين" لتبدأ المأساة.

ولمتابعة الأحداث (التراجيدية) يجدر رسم خريطة لشجرة العائلة كما وردت بالرواية وهي كالتالي:

[١] **نورمان فينكلشتاين** (مواليد ٨ ديسمبر ١٩٥٣) هو أستاذ جامعي أمريكي يهودي مختص في العلوم السياسية وهو أيضا كاتب وناشط سياسي، معروف عنه مساندته للقضية الفلسطينية وكره استخدام اليهود للمحرقة كوسيلة لجذب التعاطف العالمي والتغطية على جرائم إسرائيل ضد الفلسطينيين.
https://ar.wikipedia.org/wiki/نورمان_فينكلشتاين

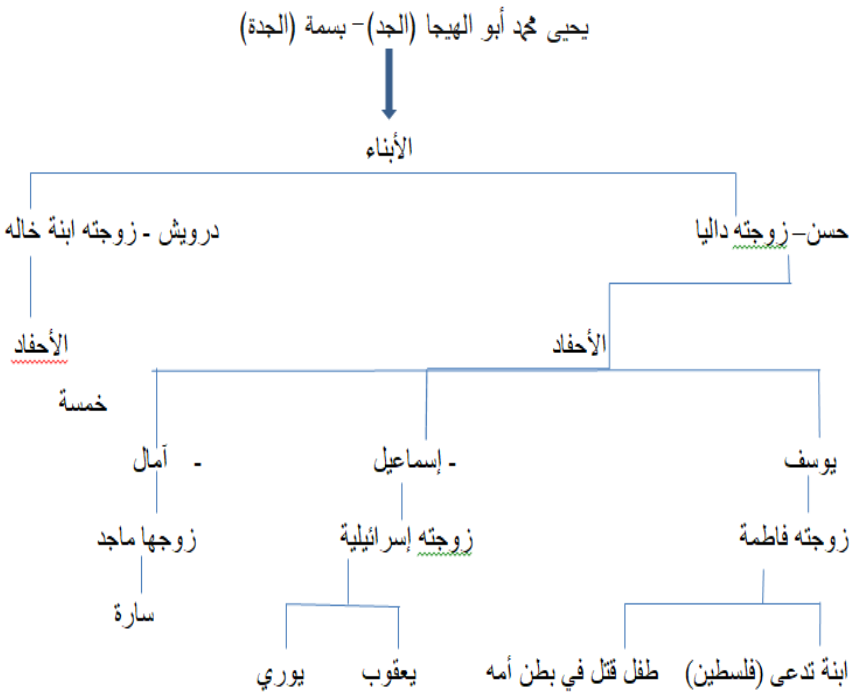

تدور أحداث الرواية في ثلاثينيات القرن العشرين. في قرية "عين حوض".. القريبة من يافا عام ١٩٤٨م.

وترصد بأسلوب درامي المأساة (التراجيديا الإنسانية) لأربعة أجيال لتلك الأسرة، منذ الترحيل القسري من "عين حوض" عام ١٩٤٨م، ومرورًا بهزيمة يونيو حزيران ١٩٦٧م، وأحداث أيلول عام ١٩٧٠م، ومذبحة صبرا وشتيلا عام ١٩٨٢م ونهاية بمجزرة مخيم جنين عام ٢٠٠٢م.

بطلة الرواية (آمال) رمز الجيل الرابع، تمتد قصتها عبْر العقود الستة للصراع العربي الإسرائيلي. وشقيقها الأول يوسف الذي ضحى بكل ما يملك من أجل القضية الفلسطينية، أما أخاها الثاني(إسماعيل) الذي خطفه جندي إسرائيلي وهو رضيع، وحياته التي تمثل نوعًا من التراجيديا القاسية عندما

يكبر يصبح جنديًا في الجيش الإسرائيلي، يقف في مواجهة مع أخيه يوسف، فقد نشأ في كنف أسرة إسرائيلية.

إشكالية التراجيديا الإنسانية في رواية " بينما ينام العالم":

سبقت الإشارة أن عاموس عوز تناول التراجيديا في روايته محل الدراسة بمنظور مختلف عن مفهومها الإنساني المتعارف عليه؛ لأنه عبَّر عنها من وجهة نظر المُحتل، أما التراجيديا بمفهومها الإنساني الصحيح فقد تناولتها الأديبة الفلسطينية سوزان أبو الهوى في روايتها؛ لأن التراجيديا "المأساة" كانت نتيجة لما تعرض له شعب فلسطين من احتلال وظلم وقهر وتشريد وتجاهُل العالم لقضيته. هذا بالإضافة إلى اختلاف تقنيات الرواية؛ حيث إن الخط الزمني في الرواية الفلسطينية تصاعديًا لا يعتمد على الاسترجاع والذكريات ويوضح مأساة الإنسان من خلال الوقائع والأحداث بشكل جلي لا يحتاج إلى تشكيك أنها تراجيديا إنسانية.

أوضحت سوزان أبو الهوى أن طلائع اليهود تحركت صوب فلسطين. وتزايدوا يوماً بعد يوم في الأرض برعاية البريطانيين وذلك رغما عن الفلسطينيين، وقد حاول الفلسطينيون التعايش مع اليهود القادمين دون دراية كافية لِما يُدبر لهم..

قدمت الكاتبة عائلة يحيى أبو الهيجاء في الرواية نموذجًا للعائلات الفلسطينية ذات الجذور التاريخية، كانت مستقرة اقتصاديًا واجتماعيًا؛ فيحيى من ملاك القرية التي تأسست منذ عصر صلاح الدين الأيوبي، يعمل أهل القرية بالزراعة، وتمتلئ القرية بالزيتون والتين والبرتقال وكل الأشجار المثمرة.

بعد خروج الإنجليز من فلسطين، واحتلال اليهود لقرية "عين حوض "، بدأت المأساة الفلسطينية التي عبرت عنها الأديبة من خلال عائلة أبو الهيجا.

تعرضت القرية للقصف ما أدى إلى دمار القرية وقتل معظم أهلها وتشريد من تبقى منهم، فتصوِّر أبو الهوى ذلك المشهد التراجيدي من خلال السرد قائلة:

"في صباح اليوم التالي، ٢٤ يوليو شنت إسرائيل قصفاً مدفعياً وجوياً واسع النطاق على عين حوض والقرى المجاورة. ذكرت وكالة (الأسوشييتد برس) أن طائرات إسرائيلية وجنوداً من المشاة قد انتهكوا

الهدنة بالهجوم غير المبرر، وسقطت القنابل كالمطر، بينما داليا تركض من ملجأ إلى ملجأ مع يوسف المرتعب، وإسماعيل الصارخ... سوِّيت الأرض، وفقدت داليا أهلها ماعدا اثنين من أخواتها. تمدد أبوها

جثة هامدة ...لم يتطلب الأمر سوى بضع ساعات كي ينقلب العالم رأسا على عقب، ويسقط إسماعيل مجهشا بالبكاء. واستمرت داليا في حمله على صدرها، خائفة أن تضعه من يدها على الرغم من وزنه الثقيل. هام ناجون آخرون، مثلهم مثل داليا، على وجوههم في صمت كالمغشي عليهم. كان الهدوء بغيضا، مجردا من الغضب أو الحب أو اليأس، حتى من الخوف...ألقت داليا نظرة على الأرض المحروقة التي انتُزعت منها الحياة... [١]

[١] سوزان أبو الهوى: رواية "بينما ينام العالم"، مرجع سابق، ص ٥٤

لا شك أن مثل هذا الوصف يجسد مأساة إنسانية لا يمكن تحملها، فكيف بحال الفلسطينيين الذين مروا بتلك اللحظات، وتواصل الأديبة وصف ما نتج عن عملية القصف من زعر وخوف لأهل القرية من خلال الحوار الآتي بين أحد جنود الاحتلال وسكان القرية:

"- **اجمعوا الأشياء الثمينة! تجمَّعوا عند البئر الشرقية! تحرَّكوا! هذا ظرف مؤقت فقط. اذهبوا عند البئر!**

صدر أمر منطلق من مكبر للصوت، وكأنه إلهٌ خفي يوزع المصائر...عند البئر، استل الجنود هراواتهم، يسوقون الحشد المذعور أسفل التل. كانت هناك عربة مثقلة بمتاع عدة عائلات. تمايلت العربة مثيرة التراب الذي تصاعد غباره بعنف إلى أعلى. وقعت امرأة عجوز على الأرض، فحملها أحد القرويين.

-(تحرك، تحرك!) صاح الإله المتحدث من مكبر الصوت. فاض الرعب من قلوب الناس، وحلق إلى الأعلى كالطيور. زقزق. زقزق... مشى القرويون متعثرين نحو التلال تحت سماء حارقة." [1]

ركزت الأديبة على تصوير حقيقة المأساة (التراجيديا الإنسانية) التي تعرض لها الفلسطينيون، فالأمر لم يقتصر على ما نتج عن القصف من ذعر وقتل بل تعداه إلى الخداع؛ فقد أمر الجندي الإسرائيلي الفلسطينيين بإلقاء ما يحملون من أمتعة وأشياء ثمينة على أمل الحصول عليها في اليوم التالي وصرخ في وجوههم ليصمتوا قائلا:

[1] - سوزان أبو الهوى: رواية "بينما ينام العالم"، مرجع سابق، ص ٥٧ - ٥٨.

- توقفوا هنا! الحقائب هنا غداً تأتون وتأخذونها. اتركوا كل شيء، المجوهرات والمال. سأطلق النار. أتفهمون؟ اذهب! توقف! أتفهم؟ ستعودون. غداً. أمان.

... جرد درويش فطومة من الأكياس المسرجة على ظهرها ووضع محتوياتها بجانب الذهب وغيره من الأشياء الثمينة.

لم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى إهدار الكرامة الإنسانية للفلسطينيين.

- الحصان اترك الحصان!

تخلى درويش عما بقي له من كبرياء:

- أرجوك!

كانت فطومة تستحق أن يتوسل من أجلها، لكن التوسل أغضب الجندي:

- اخرس!

- أرجوك!

- اخرس!

- أرجوك!" [١]

تتصاعد الأحداث وتبدو المأساة فيما أصاب الفلسطيني من عجز نتيجة إطلاق النار عليه بلا رحمة حيث عبَّرت الأديبة عن ذلك قائلة:

" أطلق الجندي النار من مسدسه مرتين. طلقة واحدة بين عيني فطومة، على غرتها البيضاء، فسقطت ميتة على الفور، أما الأخرى

[١] – سوزان أبو الهوى: رواية "بينما ينام العالم"، مرجع سابق، ص ٥٩.

فاخترقت صدر درويش ...استقرت الرصاصة في عمود درويش الفقري، وحكمت عليه بالعجز عن الحركة، وبتقرحات الفراش البشعة مدى الحياة، حياة يعذبها عبء مصير زوجته الكئيب."[١]

جسدت الأديبة ذروة التراجيديا الإنسانية في عدة مواقف منها: سرقة الابن الرضيع إسماعيل من حضن أمه قائلة:

في لحظة واحدة، كان إسماعيل ابن الأشهر الستة على صدرها، بين الحانيتين في اللحظة التالية اختفى إسماعيل.

إن لحظة واحدة لَيُمكنها أن تسْحق دماغاً وتغير مجرى الحياة، مسار التاريخ...

- **ابني! ابني! ...**[٢]

حادث الاختطاف هنا ربما ترمز من خلاله الأديبة إلى قضية الذبيح تلك القضية التي اختطفها اليهود إلى موروثهم الديني، فإسماعيل سرق وأصبح (دافيد إبرام) وتغير تاريخه، فتزوج إسرائيلية وأنجب منها يعقوب ويوري وهي أسماء لها مدلولها في الفكر اليهودي. [٣]

صرخت داليا وعيناها جاحظتان بحثاً عن ابنها. الغبار على وجهها، والصبَّار على قدميها. ابني! ابني! تفحصت الأرض... صرختها كانت عالية، نافذة، مفنيه، روحية، من أعمق لوعة يمكن أن تشعر بها أم، من

---

[١] سوزان أبو الهوى: رواية "بينما ينام العالم"، مرجع سابق، ص ٥.

[٢] المرجع السابق، ص ٦٠

[٣] سوف يأتي الحديث تفصيلًا عن أسماء الشخصيات في الرواية.

أشد رغبة عمقا في عودة الزمن، بضع دقائق فقط. لو كان هناك من يسمع نحيب داليا" [١]

ثم تعدد الأديبة المشاهد المأساوية للفلسطينيين الذين تعرضوا للطرد القسري من القرية حتى وصولهم للعيش في مخيم جنين.

حاول الفلسطينيون التكيف مع الأوضاع الجديدة في المخيم رغم صعوبتها وقسوتها، ورغم ما يتعرضون له من ظلم وقهر من قبل المحتلين الإسرائيليين، إلَّا أن قدرتهم على التحدي لم تنهزم. فالجد يحيى رغم كبره وضعفه كان مصرًا على تحدي المغتصب؛ لذا نجح أخيرًا في أن يدخل القرية سرًا ليرجع إلى المخيم محملا ببعض الثمار التي كان يزرعها في أرضه. إلَّا أنه في محاولته الثانية عاد جثة هامده ملفوفًا بملابسه.

وقد عبَّرت الكاتبة عن ذلك من خلال السرد قائلةً:

"يحيى الذي غادر المخيم في وقاره العنيد وثيابه البهية، عاد أشبه بشحاذ مَرِح معه كثير من الفاكهة والزيتون، على قدر ما استطاع، حمله في كوفيته وجيوبه ويديه. على الرغم من مظهره المزرى، جاء مكسواً بالنشوة واحتفل به الناس بما يليق بالرجل الوحيد بينهم الذي استطاع مراوغة قوة عسكرية لا ترحم، ما لم تستطعه خمس دول كبرى. لقد عاد، ومهما كانت عودته موجزة وغامضة، فقد فعلها." [٢]

---

[١] سوزان أبو الهوى: رواية "بينما ينام العالم"، مرجع سابق، ص ٦٠ – ٦١

[٢] المرجع السابق، ص ٧٧

جسدت الأديبة تجربتها الشخصية في عائلة يحيى أبو الهيجاء باعتبارها فلسطينية مرَّت بذات الظروف[١] لذلك نجحت في التعبير عمَّ يجيش في نفوس الفلسطينيين ،وهذا ما يسمى بالصدق الفني أو الصدق النفسي [٢]، وأوضحت أن دور الأجداد وقدرتهم على التحدي تمنح الأجيال التالية القدوة وتمدهم بما يحتاجون إليه من تشجيع على المواجهة والصبر والتحدي فتقول:

"حقنت[٣] جرأة يحيى الحياة في اللاجئين الذين أرهقتهم وعود الأمم المتحدة، وتبلَّدوا بإذلال عام ١٩٤٨م

الذي لا نهاية له. بالنسبة إلى يوسف، الذي لم يبلغ العاشرة بعد، كان العمل البطولي الذي أنجزه (جدُّو)

بذرة زرعت نفسها في ذكرياته عن التهجير الفظيع، وسوف تنبت في أعماقه التحدي. في أسعد أيام حياته، بعد نحو ثلاثين عاماً من قيام يحيى برحلته الجريئة، سيحكي يوسف لشقيقته آمال عن جدِّهما الذي لم تعرفه قط." [٤]

---

[١] أنظر هذه الدراسة، ص٢

[٢] الصدق النفسي: هو لون من ألوان الصدق الأدبي، وهو صدق الدوافع إلى القول، أو صدق العاطفة عن إحساس حقيقي، فهو بذلك يعني صدق التعبير عن النفس، وصدق الدوافع إلى القول، وقد يسمى: الصدق الفني.أنظر/ د. وليد قصاب: من ملامح الصدق النفسي قي النقد الأدبي،٤/٧/ ٢٠١٥م

https://www.alukah.net/literature_language/0/88822/#ixzz609LwVsk7

[٣] استخدمت المترجمة لفظ "حقنت" للتعبير عن سرعة وقوة تأثير تجربة الجد يحيى في الأجيال اللاحقة وما تحدثه من طاقة إيجابية لمواجهة العدو.

[٤] سوزان أبو الهوى: "بينما ينام العالم، ص ٧٧ – ٧٨.

تحكي الرواية عن حرب ١٩٦٧م، التي كانت سببا في ضعف أمل عودة الفلسطينيين إلى أراضيهم وتزيد المأساة باحتلال العدو لكل فلسطين التاريخية. (فجنين) اصبحت تحت الاحتلال.

وجاء وصف أحداث حرب ١٩٦٧وصفاً مأساوياً في العديد من المشاهد منها: وصف الطفلة آمال وهي تحت الأنقاض جراء الحرب. فتروي الكاتبة ذلك المشهد قائلة:

" صمَّ أذني انفجار مدوٍ نسف بلاطة الغطاء، وسطع الضوء وكنا مغطيات بالغبار والحطام. كنت أصرخ وأبكي، لكنني لم أستطع أن أسمع نفسي. جَثَمنا نحن الاثنين فوق الرضيعة، وغطينا رأسينا بذراعينا. ألقيت نظرة خاطفة على هدى فرأيتها عالقة في منتصف صرخة، صرخة مكتومة من الرعب المطلق. كان شعرها متلبداً، مبيضاً من الغبار، ومحمراً من الدم، أما وجهها فكان مغطى بالقاذورات. كان الدم يسيل من صدغيها. ازدادت نبضات قلبي وقَوِيَت بحيث أمكنني سماعها.

"با بووم.. با بووم.. بووم " صمَّ صوت الانفجار أذنَيَّ، ولم أعد أسمع غيره إلا إيقاع ضربات قلبي، وقرقرة الرعب. كان صمتًا ثقيلًا مهلِكًا، كالهدوء الذي يسبق العاصفة، أو كانكتام الصوت تحت الماء" [١]

وتبين الكاتبة مصائر الشخصيات بعد حرب ١٩٦٧م، حيث اختفي حسن الأب.. ويُعتقد أنه استشهد.. والأم داليا تصاب بفقد الوعي؛ فالصدمات كانت أكبر من عقلها.. والطفلة آمال تلتحق بمدرسة للأيتام في القدس وأما يوسف فيكبر ويتقاطع مع اعتداءات الصهاينة عليهم. ويلتقي بوجه أخيه إسماعيل بندبته المميزة المفقود عام النكبة بعد أن أصبح

[١] سوزان أبو الهوى: رواية "بينما ينام العالم"، مرجع سابق، ص ١١٢.

جنديا صهيونيا. والذي كان قد سرقه جندياً إسرائيلياً وقت النكبة، ليأخذه لزوجته العاقر من فعل الاغتصاب الألماني في معسكرات الاعتقال... فيعرف يوسف أخاه الجندي الصهيوني.. يقع يوسف تحت الاضطهاد كثيرا. فكان هذا اللقاء بين يوسف وأخيه إسماعيل "دافيد" الذي يوضح العلاقة بين العنصرية الصهيونية المتمثلة في تعامل "دافيد" مع أخيه يوسف قبل أن يتعرَّف عليه.

"اقترب دافيد من الفلسطيني مسترقًا النظر من تحت حافة خوذته، وقف الرجلان وقد جمعهما: تطابق زوايا فكيهما، غمازتان متشابهتان في ذقنيها، وامتلاء متساوٍ في الشفاه.

حدق كلٍّ منهما إلى الآخر منفجرًا بالأسئلة: "من أنت أيها العربي القذر؟" وكيف أصبحت يهوديًا يا إسماعيل؟" وفي الهواء يحلق سرًا لا يريد دافيد أن يعرفه.

بأسفٍ يليق بالمأساة سأله يوسف مستعملًا المفردات العبرية القليلة التي يعرفها، ومكررًا ما قال بالعربية.

- هل اسمك إسماعيل؟

صفع دافيد العربيَّ، ثم أخذ يضربه بعقِب بندقيته. لم يعلم لماذا، لكنه لم يستطع أن يكف عن الضرب. ركل خاصرة العربي مرَّات. فعل ذلك مرارًا وتكرارًا حتى غاب ذلك العربي – ذلك الوجه – عن الوعي صرخ صديقه العربي متوسلًا:

- **أرجوك، أرجوك، كف عن ذلك! نحن لسنا إرهابيين. إنه لم يفعل شيئًا تصاريحنا سارية المفعول. أرجوك! "** [١]

تشير الكاتبة من خلال هذا المشهد إلى تأثير الأفكار الصهيونية في "إسماعيل" وحولته من الإنسانية إلى العنصرية الصهيونية المتطرفة التي تتقاطع مع القيم الإنسانية. ولعل في اسم إسماعيل الذي هو "ديفيد" رمزية تدل على ذلك.

ومن الملاحظ أن الرواية حملت قدرًا كبيرًا من الأبعاد الإنسانية؛ فنجد أن يوسف يأخذ قراره بالالتحاق بالمقاومة الناشئة حديثا، ويترك رسالة لأخته ويغادر، ويكون أحد أبطال معركة الكرامة في الأردن في ١٩٦٧م

وهذا يؤكد أن أبطال الرواية قرروا عدم التوقف عن التغيير من وضعهم المأسوي القائم المفروض عليهم؛ فكان ذلك تمشيًا مع البعد الإنساني الذي هو: سعي الإنسان لحفظ بقائه ووجوده، ولو أدى ذلك إلى دفع حياته ثمنًا لاستمرارية الحياة للإنسان الآخر. [٢] وهذا ما يميز الرواية ويصنِّفها بأنها رواية إنسانية. أما آمال فقررت أن تتخذ العلم والمعرفة سلاحًا للمقاومة والتحدي، تنفيذا لوصية والدها، فتحصل على منحة دراسية في أمريكا، وتغادر القدس. ورغم أنها استكملت مسيرتها العلمية في أمريكا إلا أنها لم تنس شعبها.

---

[١] سوزان أبو الهوى: رواية "بينما ينام العالم"، مرجع سابق، ص ١٦١ – ١٦٢.

[٢] صبحي نبهاني: البعد الإنساني في رواية النكبة، مرجع سابق، ص ١٦.

ثم جاء تركيز الأديبة على قضية مهمة جدًا وهي: قضية الانتماء. فتشير إلى مدى انتماء الفلسطيني لأرضه ووطنه حتى وإن حظي بمكاسب قد تحقق الاستقرار والتمتع بحياة أفضل فتذكر على لسان بطلة الرواية آمال:

" بعد سنة واحدة من البدء بالدراسات العليا في "كارولينا " الجنوبية، وصلتني البطاقة الخضراء، وأصبحت الولايات المتحدة بلدي الجديد."[١]

وتغير اسمها من آمال إلى إيمي وفقًا للوضع الجديد:

"إيمي" آمالُ اللاجئين الصامدين والبداياتُ المأساوية. أصبحت الآن "إيمي" في أرض الامتيازات والوفرة. البلاد التي تدفقت على سطح الحياة، مستلقية تحت سماوات لا تتزعزع. بلاد كانت الواجهة التي اشتريتها لنفسي، غير أني بقيت أنتمي إلى الأبد إلى تلك الأمة الفلسطينية التي نُفيت إلى اللامكان. العروبة ونداءات فلسطين الأولى هما مرساي في العالم."[٢]

في هذا المقطع من الرواية لم تؤكد أمال على انتمائها لفلسطين فقط بل تؤكد على هويتها العربية أيضا. وتستمر آمال في مسيرتها، ومن خلال التواصل مع أخيها يوسف تقرر العودة والعيش مع أخيها وزوجته فاطمة وابنتهما "فلسطين" في مخيم شتيلا في لبنان، وتتزوج بماجد صديق أخيها المقاوم، وتحمل في طفلتها سارة، ثم تتعرض بيروت ولبنان للاعتداءات الإسرائيلية، فتعود آمال إلى أمريكا لتؤمن لزوجها وزوجة أخيها وابنته

[١] سوزان أبو الهوى: بينا ينام العالم، ص ٢٦٧.

[٢] المرجع السابق، ص ٢٦٧.

"فلسطين" وطفله القادم، لجوء. في تلك الأثناء تجتاح إسرائيل بيروت ولبنان فيقع زوجها شهيدا، ويذهب أخيها مع أفراد المقاومة إلى تونس كلاجئين.

تستمر مأساة الفلسطينيين حين تدخل المليشيا الطائفية لصبرا وشتيلا ويكون هناك مجزرة تحت سمع ونظر ورضى الصهاينة. فيها تكون فاطمة وابنتها "فلسطين" وجنينها من الضحايا. تكون صورتها مع طفلتها ومبقورة البطن للوصول للجنين موثقة في صور وسائل الاعلام..

صورت الكاتبة هذا الوضع المأساوي من المعاناة والاضطهاد وهدر الكرامة الإنسانية قائلة:

" **هاتفني يوسف صارخًا. صارخًا. حتى عبر أسلاك الهاتف، كان الحزن في صوته يكفي لشقَّ عنان السماء لا أزال أسمعه يحطِّم الريح كلَّما مشيت:**

- **كم يجب علينا أن نتحمل؟ وكم يجب علينا أن نقدِّم؟**

انتحب مثل طفل:

- **فاطمة! حبيبتي، فاطمة! هل رأيتِ ماذا فعلوا!؟**

سأل، صرخ، وأجاب نفسه:

- **لقد شقُّوا بطنها، آمال!**

لم يكن لدي أي كلمات.

صرخ أكثر:

لقد شقوا بطن فاطمتي بسكين! قتلوا أطفالي... قتلوا أطفالي يا آمال.

يا الله! يا الله..." [١]

[١] سوزان أبو الهوى: "بينما ينام العالم، ص، ٣٣٥ – ٣٣٦.

تصور الأديبة في هذا المشهد مدى وحشية السلوك الصهيوني التي بلغت ذروتها في موقفهم من فاطمة الحامل. مثل هذ الأمر من شأنه أن يكسب القضية الفلسطينية اهتمامًا عالميا وإنسانيًا. فما يتعرض له الفلسطينيون يمثل تجسيدًا حقيقيًا للتراجيديا الإنسانية بمفهومها الصحيح – لا يجعل الأديبة في حاجة لاستدعاء التراجيديا في النص الأدبي– وليست مجرد زعم أو ادعاء نتيجة معتقدات زائفة أو تاريخ مزور.

في مسار آخر في الرواية تكشف الأديبة عن مسيرة حياة إسماعيل الذي سُرِق وهو ابن ستة أشهر من قِبل ضابط يهوديّ يدعى موشيه، قام هو وزوجته "يولانتا" العاقر بتربيته، وأطلقا عليه اسم دافيد. يكتشف "ديفيد" هذا السر ويتأكد بعد أن يعترف (أبوه المتبَني له) بذلك، وكذلك (أمه المتبَنية).. فيعيش " دافيد " إحساس التمزق النفسي، ويترك زوجته الإسرائيلية. ويكون له ولد يتفهمه وولد آخر يوغل في صهيونيته.

يبحث عن جذوره ويصل لمخيم جنين ويعرف أين هي أخته "آمال" ويصل إليها، ويعيشون بوح الأخوة المصنوعون أعداء.. يدرك أن صهيونيته انتقاما لمذبحة النازية لليهود عبر مذبحة الفلسطينيين، وأن الكل ضحية بأبعاد متناقضة. تُستنزف دماء الجميع. لم يستطع إنكار ما كانه ولا ما صاره ولم ينتم لأي منهما. وبكل الأحوال الإنسانية مهدورة..

نجحت الكاتبة في إبراز الحالة النفسية التي يمر بها "إسماعيل" من مأساة إنسانية تسببت فيها الصهيونية بأفكارها المتطرفة غير الإنسانية وأنتجت إنسانا مشوها يعاني من التناقض فقالت الكاتبة على لسان إسماعيل "دافيد":

" – لقد أحببت "يولنتا". كانت الأم الوحيدة التي عرفتها في حياتي، لكنها سمحت لي أن أعيش في كذبة عميقة تسببت في ضرر شخصي كبير، من أجل أمومة بلا منازع... توقف برهة وأخذ يشرب ثم أضاف:

– "يولنتا" أحبتني أيضا. لا يساورني أدنى شك في ذلك، ولكن لا يمكن أن يتصالح الحب مع الخداع.

جمع جروحَه في نظرته المحدقة بعيدًا، وركزها في القبضة حول كأسه واضعًا إياها على الطاولة كما لو كان يريد تعليم البقعة التي تقع فيها الخيانة." [١]

وتستمر الأديبة في القص عن هذه المسيرة، فبعد وصول إسماعيل "دافيد" لأخته آمال استكملوا الجزء المنقوص من قصصهم.. قصة شعب ضحية بطعمها المر على كل فرد فوق الأرض أو تحتها وفي كل زمان وأي مكان وعبر عقود...

كما تستمر الكاتبة في سرد الواقع السياسي للفلسطينيين حيث قرر الإنسان الفلسطيني أن يتحول من

حالة إلى قضية. فبعد أن كان عنصرًا منفعلاً بالأحداث أصبح يبحث عن ذاته ويعيد بناء ذاته من خلال انضمامه للانتفاضة التي أعادت المقاومة للداخل وصنعت لياسر عرفات ورفاقه دولة ولو من وَهْم.

في تلك الفترة عادت آمال إلى فلسطين بتشجيع من أخيها إسماعيل، وذهبت إلى القدس لتلتقي بصديق والدها اليهودي الباحث الذي أنقذه أبوها

[١] سوزان أبو الهوى: "بينما ينام العالم، ص ٤٠٥.

من موت محقق يوما في١٩٤٨م. والذي ينتمي ليهود ضد إسرائيل الصهيونية. وليغطي لها أحداث من القصة لم تكن تعرفها بعد. وتعود لمخيم جنين لتجد المخيم يعج بالبشر والاستعداد للمقاومة. وعرفات مُحاصر في مقاطعته. مطلوب منه أن يحارب الإرهاب؟!! وتكون هناك بداية نهايته كجسد وليدخل في دورة تاريخ النضال لاسترجاع فلسطين وللأجيال القادمة.. وتجد صديقتها هدى مُثقلة بالأسى؛ زوجها في المعتقل. وابنها استشهد في الانتفاضة الأولى. وابنها الصغير فقد النطق بعد اعتقاله لأسبوع أيام الانتفاضة الأولى، وكان عمرة ست سنوات، هو الآن شاب صامت وفنان يقول كل ما يعتمل في نفس الناس، وعما يعانون من ظلم وما يمارسون من مقاومه عبر رسمه... وابنها الاخر مع المقاومة. ويحدث الاجتياح لمخيم جنين، وتكون آمال الضحية الجديدة وهي تحمي سارة ابنتها من القتل.. فتصف الكاتبة مشهد موت آمال وهو مشهد أشد مأساوية؛ لأن فيه يظهر المعتدي والمعتدى علية ضحايا أيديولوجية العداء للإنسانية (الصهيونية):

" كانت أرضية الشاحنة مثقَلة بأجساد لا حياة فيها ومكدَّسة واحدًا فوق آخر، مثل ألواح الخشب... وفهمت مدى خطئي بحذر، حركت عيني فقط، نظرت إلى الأعلى فرأيت القناصة. لا يزال اليهود هنا...التفتُ برعب شديد صوب التكتكة المعدنية، فشعرتُ بفوهة بندقية على جبهتي قبل أن أرى الوجه الشاب الجندي الواقف أمامي. صنعت اللحظة لنا فضاءً، دافعةً الغبار بعيدًا، ووضعتنا معًا.

ها نحن هنا الآن أرى عدستيه اللاصقتين تسبحان في عينيه، والعرق يتدفق على جبينه. أشعر بصفاءٍ لا يمكن تفسيره. الموت في يقينه واحترامه وسكينته المستحقة قبل أن يأخذ بيدي. لكنه لا يطلق النار.

عيناه تطرفان بشدة. وقطرة عرق وحيدة تنتقل من حاجبه نزولاً على صفحة وجهه. أُراقبها تسقط وأُلاحظ

بشرته الملساء، لا يزال أصغر بكثير من أن يحتاج إلى حلاقة منتظِمة.

هذا النفوذ على الحياة عبءٌ صاعق على شابٍ بهذا الصغر. يعرف ذلك ويريد أن يتخلص من ذلك العبء. إنه أكثر وسامة من ألا تكون له صديقة تنتظر عودته بقلق. كان سيفضل أن يكون معها بدلًا من أن يكون مع ضميره مع عبئه أو معي.

أنا أعرف أنه قد قَتل سابقًا، وهو يعرف أني أعرف، لكن لم يسبق له أن رأى وجه ضحيته قطُّ. عيناي الرقيقتان بحُب الأم وبهدوء امرأة ميتة تُثقلان نفوذه وأظن أنه سوف يبكي. ليس الآن. لا حقًا. عندما يكون وجهًا لوجه مع أحلامه ومستقبله. أشعر بالحزن لأجله. الحزن لأجل الصبي المكبَّل إلى القاتل. أنا حزينة لأجل الشباب الذين يخونهم قادتهم من أجل رموز وأعلام وحرب ونفوذ." [١]

تشير الأديبة في هذا المشهد أنه كما كانت آمال ضحية من ضحايا الاحتلال فإن الجندي الإسرائيلي هو أيضا ضحية من ضحايا الصهيونية حيث أجبرته على أن يتخلى عن إنسانيته ويواجه ضحيته ويقتلها دون أي ذنب انتصارًا لذوي النفوذ وانتصاراً للعنصرية الصهيونية.

وتصرح الأديبة أن آمال ماتت وهي راضية لأنها أنقذت ابنتها من الموت وربما ماتت وهي راضية لأنها كافحت وناضلت من أجل القضية الفلسطينية

[١] سوزان أبو الهوى: "بينما ينام العالم، مرجع سابق، ص٤٤٧– ٤٤٩

حتى آخر لحظة من حياتها، وتركت ابنتها وهي تعرف حكاية الشعب الفلسطيني كلها علَّها تكمل مسيرة نضالها فتقول:

" رصاصة قتلت آمال حتى عندما فاضت آمال خارج جسدها، وتجرَّدت عيناها منها ماتت دون أن تعرف الموت. ماتت بفرحة أنها أنقذت ابنتها. بأفكار من الرضا وبحب. ماتت كهمسة؛ كأن الموت نفسه خجِل إزاء انكشاف قلب جريح فلم يشأ أن يفسد تلك الرقة بإعلان وجوده. فغنى لها ليُهدهِدها." [1]

بعد موت بطلة الرواية آمال، وتخرج ابنتها سارة من المخيم بعدما اكتملت عندها كل الحكاية. وتعود لأمريكا معها ابن خالها اليهودي وابن عمتها الفلسطيني وهي الأمريكية، بشرا من صلب واحد جعلتهم الأقدار أعداء. ليبدؤوا حياة جديدة تبحث عن معنى وعن جدوى في رحلة الشقاء الفلسطيني.

مما سبق يتضح أن الرواية متعددة الأبعاد؛ فهي تاريخ على شكل رواية، وهي نماذج إنسانيه تعيش مع القارئ وتؤثر فيه. فيها تتعرف على الحياة الخاصة لأبطالها. للعلاقات الإنسانية لمعنى، للمآسي حضور كبير.

في الرواية صرخة تسأل عن الإنسان ووجوده ومصيره ما الذي جعله في معادلة هدر مستمرة نفسيا ووجوديا وحياتيا كروح وجسد وجود وعدم أيضا.

لقد عبَّرت الرواية عن وضع الإنسان الفلسطيني في كلتا الحالتين (الحالة، والقضية)، كما أنها عبَّرت عن الهم الإنساني لأي إنسان يعاني من تبعات الاستعمار وويلات العنصرية فاستحقت بذلك أن يطلق عليها رواية إنسانية.

---

[1] سوزان أبو الهوى: رواية "بينما ينام العالم"، مرجع سابق، ص ٤٥٥.

لذلك؛ اعتبر النقاد رواية "بينما ينام العالم" رواية فلسطينية إنسانية بدرجة عالية فهي رواية فلسطينية؛ لأنها تؤرخ لرحلة المأساة الفلسطينية عبر سبعين عاما.. وإنسانية؛ لأنها تغوص في الإنسان وعنه ولأجله ومفتقدة له...وهذا ما يميزها. [١]

التراجيديا الإنسانية بين رواية "قصة عن الحب والظلام " ورواية "بينما ينام العالم" دراسة مقارنة:

بعد استعراض الأديبين للتراجيديا في الروايتين – موضوع الدراسة– يمكننا عرض أوجه الاتفاق والاختلاف من وجهة نظريهما كل وفق الجانب الذي يمثله.

- استطاع الأديبان أن يربطا بعلاقات بين لوحة الغلاف ومحتوى الرواية لجذب المتلقي والتأثير عليه.

[١] أحمد العربي: قراءة في رواية "بينما ينام العالم" للكاتبة سوزان أبو الهوى،
http://bodor-hoppy.blogspot.com/2015/02/blog-post.html
https://ayyamsyria.net/archives/115963

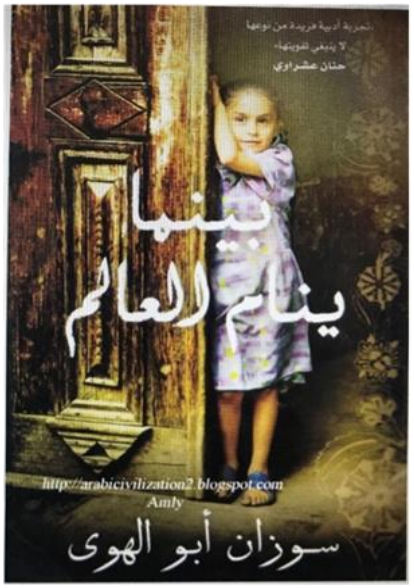

فنجد عوز قد اتخذ لوحة الفنان الإسباني بيكاسو غلافًا لرواية (قصة عن الحب والظلام) وهي لوحة عُرِضت عام ١٩٠٣ تحت مسمى(التراجيديا) وهي لثلاثة أشخاص، رجل وامرأة وطفل، الأشخاص الثلاثة قد يكونوا أسرة واحدة ولكنها أسرة مفككة: المرأة تعطي ظهرها للناظر ولا يظهر منها سوى جانب واحد من وجهها. كما أن نظرها مركّز إلى أسفل. هل في هذا ما يشير إلى أنها تلوم الرجل وتعتبره مسئولا عما حدث؟ الطفل يبدو وكأنه الشخصية المركزية في هذه اللوحة، يده الممتدّة إلى الرجل ونظراته التائهة تعطي إحساسا بحاجته للتعاطف والسلوان. وقد تكون حركة يديه تعبيرا عن حاجته للدفء الإنساني. الرجل يبدو منسحبا وغير مكترث بما يجري. تعابيره توحي بأنه يحاول إبعاد نفسه عن لمسة الطفل ونظرات المرأة، ويُحتمل أن يكون ردّ فعل الرجل غير المبالي انعكاسا لشعوره بالذنب أو تأنيب الضمير. من

الواضح أن الثلاثة فقراء، إذ يبدون حفاة الأقدام ويرتجفون من البرد كما أنهم غارقون في الحزن.

في اللوحة، ثمّة إحساس واضح بالفقد. لكن طبيعة المأساة ليست واضحة. قد تكون مرضا، موتا، جوعا، أو كارثة طبيعية ما. لا شيء مؤكّد. لكنها تعبر عن شعور بالحزن والألم والاغتراب.[١]

ترى الباحثة أن عاموس عوز نجح في اختيار هذه اللوحة للتعبير عما مرَّ به من أحداث أثرت في تكوينه النفسي مثل حادث انتحار أمه، ومأساته التي عاشها في أسرة مفككة فكريًا؛ فالأب يعتنق الفكر الصهيوني اليميني والأم تعتنق الفكر اليساري ولكنها لا تستطيع البوح بذلك، والصراع الداخلي الذي عاشه عند تحوله من الفكر اليميني المتطرف إلى الفكر اليساري الأمر الذي جعل أراءه متضاربة تجاه القضايا السياسية بسبب خلفياته الدينية وثقافته الصهيونية كبطل للرواية.

أما في رواية "بينما ينام العالم " نجد أن أبا الهوى قد استخدمت لوحة على غلاف الرواية، تظهر عليها طفلة تقف وحيدة وتستند إلى باب قديم، ذكر أحد النقاد: أن الفتاة الصغيرة التي تطل من باب قديم عليه آثار زخارف قديمة بهتت لونها، ولكنها تشير إلى مجد دارس وعزم منصرم.[٢]

ترى الباحثة أن الأديبة وُفقت في اختيار تلك اللوحة غلافًا لروايتها فهي تحمل أكثر من رمز، فكأن الطفلة في مواجهة مع العالم الذي يتجاهل

---

[1] http://vb.arabsgate.com/showthread.php?t=522019

[٢] د/ عارف الكنعاني: لغة تنهل من المأساة شعريتها

https://www.alittihad.ae/article/118943/2012/

معاناتها، ورغم ذلك تقف مرفوعة الرأس في عينيها ابتسامة خفيفة مفعمة بالآمال. وربما ترمز اللوحة إلى الشعب الفلسطيني وهو وحيد أمام المحتل المغتصب لأرضه بينما ينام العالم عن قضيته، رغم أنه أن التاريخ يؤكد جذوره في تلك الأرض، ما يمنحه حق الحياة على هذه الأرض.

- عنوان الروايتين جاء على النحو التالي:

جاء عنوان " قصة عن الحب والظلام" معبرًا عن محتواها؛ فقد مرَّ عوز في حياته بمرحلتين: مرحلة الحب

قبل انتحار أمه. أما الظلام فيعني به الوحدة العميقة التي عاشها رغم وجوده بين والديه، وزاد هذا الظلام بعد انتحار أمه.

أما عنوان رواية (بينما ينام العالم) كان مناسبا أيضا؛ حيث قدمت الأديبة المأساة الفلسطينية التي نتجت عن الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين منذ حرب ١٩٤٨م، وصورت الفلسطيني بكل تفاصيل حياته المأساوية، وواقعه المرير، كل ذلك والعالم يتغافل عن قضيته، ورغم ذلك لن يفقد الأمل في التحرر من الاحتلال.

- تختلف أسباب وطبيعة التراجيديا في الروايتين، ففي رواية " قصة عن الحب والظلام" نجد أن أسباب التراجيديا هو ما يحمله اليهود من أفكار وثقافات وأيديولوجية صهيونية؛ والتي كانت سببا في تعرضهم للاضطهاد في أوروبا وغيرها من الشعوب التي عاشوا بينها. [١]

[١] أثبتت العديد من الدراسات أن الفكر اليهودي والثقافة اليهودية من أهم أسباب اضطهاد أوروبا وغيرها لليهود منها:

==

إن ما تعرض له اليهود بعد هجرتهم إلى فلسطين واصطدامهم بزيف الادعاءات الصهيونية "أن فلسطين أرض بلا شعب" وواقع الحال يؤكد وجود الفلسطينيين منذ آلاف السنين؛ الأمر الذي أدى إلى المواجهة بين الشعبين مثلت نوعًا من التراجيديا متعددة الأوجه كالشعور بالاغتراب والوحدة العميقة والإحساس الزائف بالذنب.

أما أسباب وطبيعة التراجيديا في رواية "بينما ينام العالم" فقد نتجت عن احتلال الأرض والعدوان والتهجير القسري، لأصحاب الأرض الأصليين، وعدم الاكتراث بالقيم الإنسانية في التعامل مع الآخر؛ نتج عنها تراجيديا الفقد، والفقر والوحدة وهدر الكرامة الإنسانية؛ إلا أنها خلقت روح التحدي والمواجهة والمقاومة ومحاولة التغيير.

من هنا يمكن القول إن التراجيديا بمفهومها الإنساني لا تنطبق على رواية عوز لأنها نتجت عن اعتقادات زائفة، فقد وظَّفها عوز لتحقيق أهداف الصهيونية. وإنما تنطبق على الرواية التي قدمتها سوزان أبو الهوى لأنها خلاصة مأساة العصر لأي إنسان تعرض للظلم والاضطهاد في أي مكان وأي زمان.

- جاءت نهاية الروايتن مختلفتان حيث أنهى عوز روايته بانتحار الأم. كما قدم من خلال الرواية حلا سياسيا من وجهة نظر صهيونية وهو حل قيام الدولتين دولة إسرائيل لها كل مقومات الدولة مع الاحتفاظ بالقوة

==

– د/ عبد الوهاب محمد المسيري: الإنسان والحضارة والنماذج المركبة، دراسات نظرية وتطبيقية، كتاب الهلال، العدد ٦٢٢، عام ٢٠٠٢، ص ١١٦–١١٨، د/ أحمد عبد اللطيف حماد: اليهود بين الإرهاب الصهيوني والاضطهاد النازي، مرجع سابق، ص١١٨

الموجهة ضد العرب ودولة فلسطينية شريطة أن تكون خاضعة للدولة الإسرائيلية.

بينما نهاية رواية "بينما ينام العالم" نهاية مفتوحة، قدمت المقاومة والانتفاضة حلا سياسيا للقضية بعدما فقدت الأمل في عدالة الأمم المتحدة. وفي تجاهل العالم لقضيتهم.

- وظَّف عوز التراجيديا في " قصة عن الحب والظلام " لخدمة الرؤى الصهيونية وتحقيق أهدافها في الاستيلاء على أرض فلسطين. بينما لعبت التراجيديا في رواية "بينما ينام العالم" دورا مهمًا في عرض معاناة الشعب الفلسطيني كمأساة إنسانية يجب الانتباه إليها ومعالجتها فالشعب الفلسطيني يرفض الخضوع والخنوع ومازال يقاوم.
- الشخصيات في رواية " قصة عن الحب والظلام " شخصيات حقيقية نظرًا لأنها رواية السيرة الذاتية لكاتبها عاموس عوز. أما الشخصيات في رواية " بينما ينام العالم " شخصيات من صنع خيال الأديبة، إلا أنها وظفتها توظيفًا جيدًا من حيث استخدام أسماء لها مدلولها في الفكر اليهودي سواء من الجانب العقدي أو الجانب التاريخي؛ فمنذ اختيارها لاسم الجد "يحيى" أشارت إلى المحاولات الصهيونية لاقتلاع الفلسطيني من جذوره حتى أودت بحياته. واسم "إسماعيل" الذي خُطِفَ وهو طفل رضيع ونشأ في كنف أسرة إسرائيلية قامت بتغيير اسمه إلى "دافيد"، وفي هذا إشارة إلى حرص اليهود على تزييف التاريخ فإسماعيل هو الذبيح الذي أنكره اليهود وزعموا أنه إسحاق، وذلك بتغيير اسمه. وفي هذا إسقاط على الماضي لتعكس الثقافة اليهودية من خلال روايتها. واسم يوسف أيضا له دلالة دينية. وقد يكون اسما (يوسف وإسماعيل) وما حدث لهما في الرواية إسقاط أيضًا على

الماضي، فيوسف وإسماعيل من نسل أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم وأصل الديانة لديهما هي التوحيد وفرق بينهما الفكر العنصري اليهودي الذي قام أصحابه بالتحريف والتبديل في أسس ديانتهم التوحيدية. أما اسم "آمال" بطلة الرواية يعبر عن آمال الشعب الفلسطيني في حل قضيته رغم التاريخ الطويل من النضال والكفاح.

- البطل في رواية " قصة عن الحب والظلام" هو بطل مأساوي عصفت بإنسانيته الأيديولوجية الصهيونية والفكر اليميني المتطرف وأيضا الفكر اليساري الذي يتصف معتنقوه بالازدواجية. بينما البطلة في رواية "بينما ينام العالم هي بطلة مأساوية عصف بمصيرها الظلم والواقع عليها جراء الاحتلال، وتجاهل العالم قضيتها. وانتهت بموتها دفاعا عن قضيتها. وآخر ما تبقى لها هي: ابنتها التي ربما تحقق التغيير وتعود مرة أخرى بعد لملمة أشلاء حياتها.

محاولات تغيير المأساة في رواية قصة عن الحب والظلام جاءت من قبل البطل وحده فقط دون باقي شخصيات الرواية حيث تحول عاموس عوز عن الفكر اليميني المتطرف إلى الفكر اليساري دون جدوى فلم يغير من مأساته شيء. بينما في رواية "بينما ينام العالم " نجد أن محاولات التغيير قام بها جميع وشخصيات الرواية بدءًا من الجد إلى الأحفاد، وجاءت محاولات التغيير متنوعة سواء بالمقاومة أو من خلال العمل أو من خلال العلم والمعرفة.

- لم تتعرض الرواية العبرية إلا لمرحلة واحدة فقط من مراحل الصراع العربي الإسرائيلي وهي حرب ١٩٤٨م إلا أنها قدمت سيرة ذاتية لأديب عاش كل مراحل الصراع العربي الإسرائيلي. بينما قدمت الرواية الفلسطينية جميع مراحل الصراع العربي الإسرائيلي من خلال حياة البطلة والشخصيات الرئيسة

فيها. ومن خلال أربعة أجيال للعائلة، ولعل في ذلك إشارة دينية للفكر العقدي اليهودي الذي يعتبر أن ذنوب الآباء يتفقدها الرب في الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع [1] وهي تؤكد بذلك على وحشية اليهود تجاه الفلسطينيين.

- ركزت الرواية العبرية على تشويه الآخر الفلسطيني لتبرير احتلال أرضه، بينما تطرقت الرواية الفلسطينية إلى الخصم الصهيوني بالوصف والتحليل الموضوعي والتركيز على أن العنصرية هي السبب الحقيقي للتراجيديا الإنسانية الفلسطينية.

****

[1] ספר הבריתות : תורה נביאים כתובים והברית החדשה,התנ״ך על פי המסור בכתב יד לנינגרד, היהדורה השלישית של ביבליה הבראיקה שטוטגרטניסיה, החברה לכתבי הקודש,ספר דברים (5_9), 1991,עמ׳169

الخاتمة:

من خلال دراسة روايتي قصة عن الحب والظلام "لعاموس عوز و" بينما ينام العالم" لسوزان أبو الهوى يتبين لنا أن مفهوم التراجيديا الإنسانية يمثل إشكالية كبيرة لا سيما أن الدراسة تناولتها من وجهتي نظر مختلفتين بل متناقضتين تجاه الصراع العربي الإسرائيلي: الطرف الأول وجهة نظر عاموس عوز الإسرائيلي الذي يتمسك بأرض ليست له بناءً على معتقداتٍ زائفة. وعبَّر عن معاناة شعبه من جراء الأحداث التي مرَّ بها، سواء خارج فلسطين فيما أطلقوا عليه الشتات مثل: أحداث النازي. كما وظَّف الاصطدام بالواقع في فلسطين في صورة مأساة يهودية. حيث كان الاعتقاد الصهيوني أن فلسطين أرض الميعاد الأرض التي تفيض لبنًا وعسلًا، وهي من وجهة نظرهم أرض بلا شعب. فقد اصطدم اليهود بتواجد الفلسطيني على أرضهم وتمسكهم بجذورهم وتاريخهم.

حاول عوز تأييد إقامة دولتين لتحقيق الاستقرار للشعبين الإسرائيلي والفلسطيني إلا أنه لم ينجح في هذا التأييد، فقد غلبته النزعة الصهيونية، فهو يرى ضرورة أن تكون تلك الدولة خاضعة بشكل كامل لإسرائيل.

لذا تعتقد الباحثة أن ما قدمه عوز لا يعبر عن التراجيديا الإنسانية بمفهومها الصحيح، وإنما عبر عن مأساة شعبه. وبذلك لم تحقق روايته شروط الرواية الإنسانية؛ لأنها لم تخترق الغلاف القومي الضيق.

أما وجهة النظر الثانية فهي ما قدمته سوزان أبو الهوى من خلال روايتها، فقد نجحت في تقديم تراجيديا إنسانية حقيقية بمفهومها الصحيح، فبرغم أنها عانت نفس المأساة التي كتبت عنها في الرواية إلا أنها تخيرت شخصياتها من وحي خيالها لتقدم رؤية واضحة للفكر اليهودي والمزاعم الصهيونية بُنيت

عليه وذلك بربط أحداث الرواية بأسماء يهودية أدت دورًا كبيرًا في التاريخ اليهودي، وعددت ما حدث لتلك الشخصيات من مآسٍ عديدة، بسبب العنصرية الصهيونية. وما حدث لتلك الشخصيات يمكن أن تحدث في أي مكان وأي زمان. وبذلك تحقق رواية أبو الهوى شروط الرواية الإنسانية؛ لأنها نفذت إلى أعماق الوجدان البشري، وحققت الصدق الفني الذي هو أهم شروط الرواية الإنسانية؛ لأن الأديبة عاشت معاناة التجربة وأحاطت بأبعادها كافة يمكن أن تنفذ إلى ضمير العالم.

قائمة المصادر المراجع العربية

المصادر العربية:

١. سوزان أبو الهوى: "بينما ينام العالم"، ترجمة سامية شينان تميمي، قطر– الدوحة، الطبعة العربية الأولى، ٢٠١٢م

المراجع العربية:

١– حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠

٢– رشاد عبد الله الشامي (أ.د): الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي، دار المستقبل العربي، القاهرة، (د- ت).

٣– زين العابدين محمود حسن (أ.د): الكيبوتس بين المثالية والواقع في القصة عند أهارون ميجد ،١٩٩٤م.

٤– صبحي نبهاني: البعد الإنساني في رواية النكبة، نقد، في الأدب الفلسطيني، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٩٠م

5– عبد الوهاب محمد المسيري (أ.د): الإنسان والحضارة والنماذج المركبة، دراسات نظرية وتطبيقية، كتاب الهلال، العدد ٦٢٢، عام ٢٠٠٢

6– محمد خليفة حسن (أ.د): الشخصية الإسرائيلية، دراسة في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٢، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، (د – ت)

٧– نبيل راغب(د): دليل الناقد الأدبي، مكتبة غريب، القاهرة د.ت

الدوريات العربية

١. أحمد عبد اللطيف حماد (أ.د): رسالة المشرق، العدد ٣/٢ ، المجلد الثاني، ديسمبر ١٩٩٣م

٢. مولين ميرشنت: الكوميديا والتراجيديا، ترجمة: د/ علي أحمد محمود وآخرون، مجلة عالم المعرف، العدد ١٨، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب–الكويت، ١٩٧٩م

الرسائل العلمية

١. جمال عبد السميع مصطفى الشاذلي: "القصة القصيرة في أدب عاموس عوز"، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٢. عمر عبد العلي علام: "الأنا والآخر في أعمال عاموس عوز- دراسة تحليلية مقارنة بين كتاباته السياسية وبعض أعماله الأدبية ": رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس ،١٩٩٩م

٣. فؤاد محمد عبد الواحد " الرواية في أدب عاموس عوز " ، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، ١٩٩٣م.

٤. نهلة صلاح منصور أحمد راحيل: السيرة الذاتية عند عاموس عوز – دراسة في رواية (قصة عن الحب والظلام)": رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

المقالات الأدبية والسياسية:

١. إبراهيم غرايبة: "قصة عن الحب والظلام " رحلة إسرائيلي من بولندا إلى القدس،١٣/ يناير/ ٢٠١٤م

http://thaqafat.com/2014/01/22335

٢. أحمد العربي: " قراءة في رواية (بينما ينام العالم.. للكاتبة سوزان أبو الهوى)، ١٦ / يناير /٢٠١٤م

http://bodor-hoppy.blogspot.com/2015/02/blog-post.html

٣. "روائية تسجل شتات أجيال فلسطينية "بينما ينام العالم"، رويترز، القاهرة ،٢٦ / مارس/ ٢٠١٢م

https://ara.reuters.com/article/idARACAE82P04020120326

٤. عارف الكنعاني(د): "لغة تنهل من المأساة شعريتها"، الاتحاد، الملحق الثقافي،١٥/ديسمبر ٢٠١٢م

https://www.alittihad.ae/article/118943/2012/

٥. اليسار واليمين الإسرائيلي.. وجهان لعملة صهيونية فلسطين اليوم- القدس المحتلة، ٥ / مايو/٢٠١٠م

https://paltoday.ps/ar/post/80108/اليسار--ن-لعملة-صهيونية

٦. إحسان مرتضى: أكذوبة اليمين واليسار في إسرائيل، ٢٠١٦م

https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/أكذوبة-ال-اسرائيل

٧. شرحبيل إبراهيم المحاسنة(د): بنية الشخصية والحدث الروائي، المجلة العربية، ٢٣/ ١/٢٠١٢م

٨.

http://www.arabicmagazine.com/arabic/articleDetails.aspx?Id=1662

٩. وليد قصاب(د): من ملامح الصدق النفسي في النقد الأدبي، شبكة الألوكة، ٤/٧/ ٢٠١٥م

: https://www.alukah.net/literature_language/0/88822/#ixzz609LwVsk7

المعاجم والموسوعات العلمية

١. عبد الوهاب محمد المسيري (أ.د): موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، ٢، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ،١٩٩٩م

٢. معجم المعاني الجامع – معجم عربي عربي https://www.almaany.com/ar/dict/ar-

٣. موسوعة المصطلحات مدار https://www.madarcenter.org/

٤.الموسوعة الفلسطينية . https://www.palestinapedia.net/

قائمة المصادر المراجع العبرية

المصادر العبرية

1- ספר הבריתות: תורה נביאים כתובים והברית החדשה,התנ"ך על פי המסור בכתב יד לנינגרד, היהדורה השלישית של ביבליה הבראיקה שטוטגרטניסיה, החברה לכתבי הקודש,ספר דברים (5_9), 1991

2- עמוס עוז: ספור על אהבה ו חושך, כתר הוצאה לאור، כתר הצאה לאור،ירושלים، 2002

المراجع العبرية

1- מיטל שרון: שיח יתומים ، סופרים וספרות ישראלם כותבים על אמותיהם המתות، אוניברסיטת תל- אביב.
2- בני מוריס : קורבנות, תולדות הסכסוך הציוני-העברי 1881-2001, תרגם מאנגלית : יעקב שרית, הוצאת עם עובד, תל אביב, 2003
٣- יוסף אורן : סוגות בספרות היסראלית : הוצאת יחד, 2004
4- יוסף בן אורן : משבר ערכימ בספרות הישראליות, הוצאת יחד, ראשון ליציון, 2007, עמ' 40 - 41

القواميس ودوائر المعارف العبرية

1 - אנציקלופדיה יהודית לנושאים בתרבות ישראל לתחומיה.

http://www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp?id1=3244

2- המלון החדש : אברהם אבן-שושן,כרך שני : ה-ט,הוצאת"קרית-ספר" בע"מ, ירושלים, עם 913.
٣- לקסיקון הספרות העברית החדשה

https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/01201.php

الأبحاث والمقالات العبرية

1- איריס מילנר: סיפור משפחתי: מיתוס המשפחה בסיפור על אהבה וחושך וביצירתו המוקדמת של עמוס עוז، ישראל 7, 2005

https://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/00397-files/00397213.pdf

2-ציונית, דינה : מטח : המרכז לטכנולוגיה חינוכית. 2003 .

https://lib.cet.ac.il/pages/item.asp?item=7471

3- פורטל הכרמל : סיפור על אהבה וחושך , 4 / 10 / 2010

http://www.karmel.co.il/

المراجع الأجنبية

A Life of Picasso: The Prodigy, 1881-1906 Paperback- Deckle Edge, October 16, 2007

مواقع شبكة المعلومات الدولية

חולדהhttps://www.homee.co.il/

https://ar.wikipedia.org/wiki/

https://www.alquds.co.uk /

https://midan.aljazeera.net/art/finearts/2017/ %A9

https://ar.wikipedia.org/wiki/

http://vb.arabsgate.com/showthread.php?t=522019

https://wefaak.com/

****